المسئولية الفردية والجماعية في المجتمع الإسلامي كما يصورها القرآن

إعداد

أ. د/ محمد شبل مصطفى عطيه

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

بكلية دراسات دسوق - جامعة الأزهر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذى جعل شرعه وسيلة لإصلاح النفوس، والصلاة والسلام على نبيه خير مبعوث، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم وسار على نهجهم إلي يوم الدين .

وبعد ،،

فقد أصبحت الأمراض النفسية اليوم علماً ظاهراً في واقع المجتمعات الإسلامية، وماتقع كل الشرور والمساوئ إلا من نفس مريضة، بعيدة عن الهوى الربانى، وحينئذ فلا مناص من مكاشفة النفس، ووضع اليد علي العلة حتى يمكن علاجها والقضاء عليها، قال تعالى ﴿**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً. ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمرمنكم فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلي الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا**﴾[1] وقال رسول الله ﷺ فيما جاء عن أبى هريرة رضى الله عنه «ماأنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء»[2] ليعلم كل مسلم أن الاستعلاء يستحيل أن يأتى بخير حقيقى، فمجتمع يزهو فيه كل فرد بنفسه محتقر لغيره وظالم له، ناس لمكارم الأخلاق، لابد أن يجنى مالايحب، إن الأخلاق في مجتمعنا مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالإيمان،[3] ومع أن الكمال لله

---

(١) النساء آيتا ٥٨، ٥٩ .

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب الطب باب ماأنزل الله داء إلا أنزل له شفاء جـ ١٠ ص١٣٤ فتح البارى .

(٣) الدين والعقل دك/ سليمان دنيا ص٦٧ ط١٩٥٩م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وحده لكن حينما تزداد مظاهر الشرفى المجتمع، فإنه يكون شراً وبيلاً، والحكم دائماً للصفة الغالبة[١]...

لقد آلى الغرب على نفسه «أن يهدم الإسلام وآله من طريق مباشر تارة، وطرق غير مباشرة تارة أخرى، فنراه ينحسر عن البلدان الإسلامية بجيوشه، بعد أن فتح طرقاً للغزو الفكرى وكذلك يدفع الشباب إلى اللهو واللعب، والخلاعة والمجون، والإغراق فى المتع، والأدهى والأمر أنه يقنع الشباب أن فى ذلك عنواناً للتقدم والرقى، ويصل الحال بنا أن نرى الكثير من الشباب يسير شبه عار دون خجل أو حياء، إنهم يحاولون هدم الدين في النفوس والقلوب، مع أن فى آداب الإسلام الأخلاقية مايؤدى إلى صحة العقيدة والعفة، والرجولة والسكينة والوقار، ووضاءة العقل وسلامة العرض، والتوفيق بين حاجات الروح والجسد مؤدياً لكل ذى حق حقه، مما يترتب عليه سعادة الدنيا والآخرة، يقول د/ محمد البهى (والخطر كل الخطر فى نشر الفساد في المجتمع المسلم عن طريق تدخل الغير، وهو عدوهم بأخلاقه غير المتوافقة مع الأخلاق الإسلامية، من غير نظرة بعضهم إلى بعض، ونقل ولاء بعضهم إلى بعض ، مما جعل الغير يفرض سيطرته عليهم، ويضع الحواجز والفواصل بين الأمة الإسلامية، فأصبح للمسلمين مشاكل اقتصادية، وسكانية وسياسية ودفاعية، واستولى على فكر الكثيرين بأن معيار التقدم والحضارة، إنما هى فنية وعلمية وموضوعية، ولاعلاقة لها بالدين، وهذه نظرة خاطئة، والعلاج فى تزكية الأخلاق وتمكينها في نفوس المسلمين كافة، ليصل الأمر إلى ماكان عليه السلف الصالح، وتلقائياً ستذوب الفواصل بين المؤمنين الصادقين، وتقوم العلاقة بينهم على مبادئ الأخلاق الإسلامية وحب الخير والجهاد[٢] لإعلاء كلمة الله .

---

(١) رجل من أمة التوحيد للأستاذ/ عبد اللطيف الجوهرى ص١٦٩ ط دار الصحوة للنشر سنة ١٩٩١م .

(٢) الإيمان د/ محمد البهى ص٢٥ ومابعدها ط الأزهر سنة ١٩٦٩م .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إن الظواهر السلبية تطالعنا بها وسائل الإعلام اليومية والأسبوعية بل إن بعض الصحف تخصصت فى الحوادث، الكثير منها محلى لاأخلاقى، والآخر عالمى، فتطالعنا وسائل الإعلام بالسرقات واللصوصية وقطع الطريق والاستيلاء على أموال الناس بالإكراه في وضح النهار، كذا جرائم الآداب من التعدى على النساء والفتيات بالمعاكسات أو الاغتصاب، وكذلك جرائم المسكرات بأنواعها المختلفة، وتارة بالاختلاس أو الرشوة في مجالات العمل المختلفة، وتارة مايقع من عقوق للوالدين، أو الجفوة بين أولى القربى وخيانة الجوار، بالإضافة إلى الحقد والحسد، والبغضاء والنميمة، والوقوع في أعراض الناس بإشاعة الفاحشة ورمى الأبرياء، أو شهادة الزور، أو التعدى بالضرب والإيذاء وذلك يدل على فساد علاقة المجتمع المسلم الذى يقول الحق فى شأنه ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا**﴾[1]، وقال سبحانه ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾[2]، وقال رسول الله ﷺ فيما جاء عن أبى ذر رضى الله عنه (اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن)[3] فالمؤمنون إخوة بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، موقنين بأن الله رقيب عليهم، أما مايقع من البعض من أمور مخالفة لآداب الإسلام فهو ناشئ عن جهل بأمور الدين، أو فى لحظة غياب ضمير، أو لعدم وضع عقاب رادع لمقاومة المخالفين، ولو تمسكنا بآداب الإسلام فيما وضعه من حدود وزواجر رادعة لهذا السلوك السئ، ولاستطعنا أن نخلق مجتمعاً صالحاً وتلك مسئولية أولياء الأمور والعلماء، وكذلك مقاومة السلبيات التى

---

(١) ال عمران ١٠٣ .

(٢) آل عمران آية ١١٠ .

(٣) أخرجه الدارامى فى كتاب الرقاق باب في حسن الخلق جـ٢ ص٣٢٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تحدث فى العالم أو المجتمع، والمسئولية عن الظروف الحياتية للإنسان تستند على الاقتناع بتضامن كل البشر، لإدراك هذه المسئولية والاعتراف بها، وهو أمر يتوقف على فهم الحرية الإنسانية، بما ليس فيه ضرر أو ضرار، ومن منطلق تحمل مسئولية العلم وأداء الأمانة، أردت أن أوقظ العقول إلي تحمل المسئولية في الأعمال والأقوال، ليؤدى كل إنسان عمله كاملاً دون مراآة أو تعد على حقوق الغير، وتكلف الإنسان ماليس من حقه، واخترت هذا العنوان (المسئولية الفردية والجماعية فى المجتمع الإسلامى) ليكون بياناً للبشر علهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً، مصداقاً لقوله تعالي ﴿**إن أريد إلا الإصلاح مااستطعت وماتوفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب**﴾[١] وقوله تعالى ﴿**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**﴾[٢].

وقد تحدثت فى هذا البحث عن تعريف المسئولية ومراحلها ثم تطرقت إلى الحديث عن أنواعها، وعن حكمة الإسلام فى تشريعها وجزائها ثم أشرت إلى أن الإنسان خليفة لله في أرضه، وبيان وفاء الشريعة بمتطلبات الحياة، وعن الموازنة بين مطالب الروح ومطالب الجسد، وعن الحكمة من جعل التكاليف الشرعية على قدر الطاقة، وكون الجزاء من جنس العمل، ثم تحدثت عن المسئولية الفردية فى الأسرة وفى المجتمع وفى العمل ومسئولية الحاكم ثم تحدثت عن المسئولية الجماعية فى علاج مشاكل المجتمع وإقامة مجتمع فاضل ثم كان ختام البحث بالحث على التحلى بالفضائل ومقاومة الرزائل والتعاون الجاد المثمر بين جميع أفراد المجتمع ..

وبالله التوفيق ،،،

أ. د/ محمد شبل مصطفى عطية

---

(١) هود آية ٨٨ .

(٢) آل عمران آية ١٠٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

❐ تعريف المسئولية :

يقال سأله عن كذا استخبره عنه، والمساءلة ماكان موضع بحث أو نظر، وهى بوجه عام حال أو صفة من يسأل عن أمر تقع عليه تبعته، يقال أنا برئ من مسئولية هذا العمل، وتطلق أخلاقياً على التزام الشخص بما يصدر عنه قولاً أو عملاً، وتطلق قانوناً على الإلتزام بإصلاح الخطأ الواقع على الغير طبقاً للقانون[١]، والفعل سأل يعنى التوجه إلي طرف آخر بطلب أو مناشدة أو نداء يتطلب جواباً، والله تعالى يقول ﴿**وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب**﴾[٢] وقد يكون النداء منبعثاً من داخل الإنسان لامن خارجه، ومن الفعل سأل اشتقت كلمة المسئولية، وتحمل المسئولية على هذا إعطاء رد إيجابى على هذا النداء، والمسئولية من الصفات التى تلازم صاحبها من قبل أن يبدأ بالفعل إلى مابعد انتهائه قال تعالى ﴿**فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون**﴾[٣].

❐ مراحل المسئولية :

تمر المسئولية بمراحل متدرجة على النحو التالي :

١ - مرحلة ماقبل الفعل، وهى مرحلة نداء الواجب للشخص ومطالبته له بالعمل والمسئولية حينئذ مسئولية تكليف ومطالبة بأداء الأعمال .

٢ - مرحلة الإجابة لهذا النداء بالإيجاب بأداء ماكلف به أو بالسلب بالكف عن المنهى عنه بلفظ الأمر أو النهى .

٣ - مرحلة المحاسبة والتقدير لقيمة هذه الإجابة، وتأتى بعد الفعل، والمسئولية هنا مسئولية استجواب ومحاسبة، وإلزام ينطوى عليه نداء

---

(١) المعجم الوجيز ص٢٩٩ ط مجمع اللغة العربية ١٩٩٨م .

(٢) البقرة آية ١٨٦ .

(٣) النحل آية ٤٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الواجب للشخص ومطالبته له بالعمل، يعنى أن ذلك الشخص الذى يوجه النداء إليه له شخصيته المستقلة، وله حريته فى القبول أو الرفض، وله قدرته على تنفيذ مااستقرت عليه إرادته، والمسئولية بهذا المعنى صفة تشريف لأنها مرادفة لمعانى الحرية والاستقلال والكرامة(١)، وقد بين لنا القرآن أن الإنسان هو الكائن الوحيد الذى تحمل المسئولية قال تعالى ﴿**إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً**﴾(٢) وهى مسئولية الاختيار بين الخير والشر، وكل فرد يقف أمام هذا الاختيار، وهو يرجع ضرره إلي العلاقات الأساسية الإنسانية المطلقة التى تتمثل فى المحبة والأخوة والعدالة، والأخلاق والتراحم، ونحن بأعمالنا نصنع مصيرنا قال تعالى :

﴿**وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً، اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا**﴾(٣) الآيات. وهذا يعنى أننا نتصرف بحرية وتفكير ونسير طبقاً لما تمليه عليه عقولنا، فإن المطالبة بالمسئولية فى نظر الإسلام تعد مطالبة بتقديم إجابة بطريقة حره، والإسلام يحث على الإستقلال فى الفعل ﴿**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون**﴾(٤) ويقول الرسول ﷺ «لاتكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن

---

(١) مقدمة فى علم الأخلاق د/ محمود حمدى زقزوق ص٢٩ ط دار القلمبالكويت .

(٢) الأحزاب آية ٧٢ .

(٣) الإسراء آيتا ١٣، ١٤ .

(٤) التوبة آية ١٠٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا)[١]. فالإسلام يحذر من التقليد في الشرور ويحث على المسابقة فى فعل الخيرات. لقوله تعالي ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ فى المائدة فى اية ٤٨ .

❐ أنواع المسئولية :

المسئولية نوعان: **النوع الأول:** مسئولية فردية تدفع كل إنسان إلى الإلتزام من تلقاء نفسه انطلاقاً من إيمانه، ورغبة فى حسن الجزاء وقد أكد القرآن على هذه المسئولية الفردية في مواطن متعددة قال تعالى ﴿**كل نفس بما كسبت رهينة**﴾[٢]، وقال تعالى ﴿**من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولاتزر وازرة وزر أخرى وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا**﴾[٣] وقال تعالى ﴿**من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وماربك بظلام للعبيد**﴾[٤].

النوع الثانى: (المسئولية الجماعية) وهى التى تتطلبها ضرورة أمن الجماعة المسلمة ولابد من النهوض بها في مواجهة أى خلل يتسبب فيه بعض الأفراد بالتطاول على القانون، أو الخروج على الحاكم، أو على الجماعة المسلمة. قال تعالى ﴿**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله**﴾[٥]. وصورة هذه

---

(١) رواه الترمذى فى كتاب البر والصلة باب ماجاء فى الإحسان والعفو جـ٣ صـ٤٠٥ عن حذيفة .

(٢) المدثر آية ٣٨ .

(٣) الإسراء آية ١٥ .

(٤) سورة فصلت آية ٤٦ .

(٥) التوبة آية ٧١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المسئولية يوضحها حديث رسول الله ﷺ الذى رواه الإمام البخارى عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ (مثل القائم علي حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها وكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وماأرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً) (١).

فالمجتمع كل لايتجزأ بحاجة إلى الوقوف صفاً واحداً فى مواجهة المنكرات .

❑ حكمة الإسلام فى تشريع المسئولية والجزاء :

يقول د/ محمد عبد الله دراز (يستند أى مذهب أخلاقى على فكرة الإلزام فهو القاعدة الأساسية، والمدار الذى يدور حوله النظام الأخلاقى، والذى يؤدى فقده إلي سحق جوهر الحكمة العملية ذاتها وفناء ماهيتها، ذلك أنه إذا لم يعد هناك إلزام فلن تكون هناك مسئولية، وإذا عدمت المسئولية فلا يمكن أن تكون عدالة، وحينئذ تتفشى الفوضى، ويفسد النظام وتعم الهمجية لافى مجال الواقع فحسب، بل فى مجال القانون أيضاً، وطبقاً لما يسمى بالمبدأ الأخلاقى) (٢) وقال الشيخ/ محمد عبده (وخير دليل على المحاسبة والمساءلة ماقاله عمر بن الخطاب رضى الله عنه حينما وقف بين الناس خطيباً فقال (ياأيها الناس من رأى منكم فىّ اعوجاجاً فليقومه؟ فقام رجل أعرابى فقال: والله لو وجدنا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا، فقال عمر (الحمد لله الذى جعل فى المسلمين من يقوم عوج عمر بسيفه) إذ ليس معنى تقويم العوج إلا التنبيه علي الحق والإرشاد إلى الطريق المستقيم (٣)، والإنسان له علاقات بربه

---

(١) رواه البخارى فى فتح البارى كتاب الشركة باب هل يقترع فى القسمة جـ٥ ص١٥٧ .

(٢) دستور الأخلاق فى القرآن د/ محمد عبد الله دراز ص٢١ .

(٣) تاريخ الأستاذ الإمام جـ٢ ص١٩٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خالصة لايشوبها شرك، وله علاقة بذاته وداخله، وله علاقات بمجتمعه ومحيطه (الأسرة والعائلة)، وله علاقاته بالمجتمع الإنسان الكبير ويستحيل بجميع المقاييس أن يضع الإنسان تشريعاً يحدد نوع السلوك وحجم التكليفات التى تجب على الإنسان تجاه ربه وخالقه، كما أنه من الصعب عليه أن يضع قانوناً لنفسه بنظم غرائزه وحاجاته، بحيث لايطغى بعضها على بعض وفى مجال علاقته بالمجتمع سواء فى دائرته الصغيرة أو فى دائرته الكبرى، لايستطيع الإنسان أن يضع قانوناً تشريعياً يخلص له جميع الأفراد وقد اختص الله وحده بالتشريع رحمة ببنى الإنسان من أن يختلفوا، وصوناً لهم من الوقوع فى حمأة الجدال والمراآة، وأرسل الله الرسل بالعقيدة التى تصلح الإنسان من داخله، وبالتشريع الذى يصلح الإنسان من خارجه، قال تعالى ﴿**رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل**﴾(١) وقد اعتبر الإسلام الالتزام بالتشريع كله عبادة، قال تعالى ﴿**شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وماوصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه**﴾(٢)، وإذا كان الإسلام قد جعل العمل عبادة، فإن المقصد الأول من وراء هذا العمل، الارتقاء بالنفس طمعاً فى الثواب وخوفاً من العقاب، وهو مناط التكليف والمسئولية، وفى ظل هذا التشريع يأمن الإنسان على نفسه وعقله، وعلى ماله وعرضه وولده، ليعيش المجتمع كله فى أمن وسلام، مادام هناك إحساس بالمسئولية وكل إنسان يؤدى واجبه كاملاً قال تعالى ﴿**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**﴾(٣)، وكل وسائل التدمير الأخلاقى فى المجتمع ناشئة عن عدم الشعور بالمسئولية، يقول أبو حازم البستى (السئ الخلق

---

(١) النساء آية ١٦٥ .

(٢) الشورى آية ١٣ .

(٣) الأنعام آية ٨٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أشقى الناس به نفسه التى بين جنبيه هى منه في بلاء، ثم زوجته ثم ولده حتى أنه ليدخل بيته وإنهم لفى سرور فيسمعون صوته فينفرون عنه خوفاً منه، وحتى أن دابته لتحيد مما يرميها بالحجارة، وإن كلبه ليراه فينزو على الجدار، وحتى قطه ليفر منه) (١).

والقرآن جاء بالفضائل الإنسانية الحقة، التى أجمع الفلاسفة ودعاة الإصلاح فى العالم على المناداة بها، والتى لو عمل بها الناس لحصلوا على أعظم الخير لعالمهم المضطرب، والرذائل التى نهى عنها القرآن هى سبب العداوة والخصام التى بين الناس، وهى التى لايشك فى ضررها أى مخلص يبتغى الخير للإنسانية، (٢) والإسلام حينما حدد المسئولية وضع العقوبات الزاجرة لمن يتعدى حدود الله، يقول الأستاذ عبد القادر عودة (والأصل في الشريعة أن فرض العقوبة واستيفائها حق لله تعالى ولكن الشريعة جعلت استيفاء بعض العقوبات حقاً للأفراد كعقوبة القصاص والدية، فلهم أن يتمسكوا بها أو يتنازلوا عنها، فإن تنازلوا عنها كان للجماعة أن تعاقب الجانى بالعقوبة الملائمة لظروف الجريمة والمجرم، ولايمنع الجماعة حقها فى فرض عقوبات أخرى على الجرائم، وتنفذ هذه العقوبات بمعرفة الجماعة) (٣). وإذا كان الإسلام قد أطلق الحرية في جميع ماأوجبته النصوص الشرعية، فما لم يرد نص بتحريمه انتفت عنه المسئولية، والجميع أمام قانون الإسلام سواء فليس هناك تفريق بين رئيس ومرءوس ولابين جنس وجنس ولابين مسلم وذمى إلا في حدود ماأباحه لهم دينهم فقط، وقد وضع الإسلام في ذمة الحاكم ومسئوليته تطبيق الحدود فى مواقع الحدود، والتعزير فيما يستوجب التعزير.يقول المستشار محمد ماهر (فأمة محمد ﷺ بجميع أفرادها مكلفة بمكافحة الجريمة كل بحسب مايستطيع

---

(١) سير أعلام النبلاء جـ٦ ص٩٩ .

(٢) روح الدين الإسلامى - عفيفى عبد الفتاح طبارة ص٢٠٤ - ٢٠٥ ط دار القلم.

(٣) التشريع الجنائى فى الإسلام جـ١ ص١٢٥ ط دار التراث .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبقدر طاقته، وبهذا التكليف الجماعى تكون الشريعة الإسلامية قد جعلت السيادة للجمهور، وهو مبدأ لم تعرفه الشرائع الحديثة إلا في القرن الثامن عشر، وهذا المبدأ يجعل دور الجمهور فى مكافحة الانحراف دوراً أصيلاً ومهما)[١]، إن منهج الإسلام يشكل في مجموعه وحدة مترابطة في العقائد والعبادات والسلوك، وكلها أمور تتجه إلى إحداث وحدة ترابطية منظمة فى حياة الفرد والجماعة، فنراه متلائماً مع الفطرة الإنسانية التى فطر الله الناس عليها، ويهدف إلى تحقيق سعادة الإنسان بضبط هذا السلوك في الحياة قال تعالى ﴿**ورحمتى وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون. الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث**﴾[٢]، وحينما ينادى القرآن الإنسان فى كثير من آياته لتلقى الأوامر أو اجتناب المنهيات بلفظ (يأيها الإنسان) نرى أن التعبير أوسع من أن يراد به إنسان معين أو يراد به جنس أو قبيلة، وإنما يراد به الإنسان الذى استقام على الجادة، حتى يكون نموذجاً تتحقق فيه معنى الإنسانية الكاملة، وظاهر هذه النداءات الإنسانية تتجاورز النداءات والتوجيهات التى انبعثت من خلال الأيدلوجيات المختلفة على مر التاريخ كما أنها فى نفس الوقت تنبثق عن عقيدة الإسلام فى الألوهية ذاتها[٣]، قال تعالى ﴿**يأيها الإنسان ماغرك بربك الكريم. الذى خلقك فسواك فعدلك. فى أى صورة ماشاء ركبك**﴾[٤]، وقال تعالي ﴿**يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى**

---

(١) الكفاح ضدالجريمة فى الإسلام ص١٩ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

(٢) الأعراف آيتا ١٥٦، ١٥٧ .

(٣) دولة الفكر للأستاذ/ فتحى سليمان ص١٣ .

(٤) الانفطار الآيات من ٦ - ٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾(١).

أى من أجل التعارف وإقامة العلاقات الإنسانية والسياسية والاقتصادية فى المجتمع الإسلامى على أساس سليم .

﴿ الإنسان خليفة الله فى أرضه ﴾

إن الإسلام دعوة عالمية جاءت لتكريم الإنسان، والحفاظ علي مستواه وقيمته مصداقاً لقوله تعالي **﴿ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾**(٢)، فاختاره الحق سبحانه وتعالي خليفة له فى أرضه يعمرها بطاعة الله بعد أن خاطب الملائكة فى شأنه بقوله تعالى **﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم مالاتعلمون﴾**(٣)، والغرض من هذه الخلافة تحقق العبادة والطاعة قال تعالى **﴿وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾**(٤)، وإذا كان الله قد خلقه من قبضة فيها شئ من عناصر الأرض يشبه بها غيره من الكائنات الحية إلا أنه جعل فيه من المزايا والخواص ماليس لغيره من سائر الكائنات، وقد علمه قبل أن ينزل إلى الأرض كى يتحمل مسئولية قضايا الخير والشر وتصحيح الخطأ، كما أعطاه وسائل الفكر وإمكانيات المعرفة، وبين له مكانته بين الكائنات حيث أسجد له ملائكته سجود تكريم وبين له العدو الحقيقى الذى يحرص على

---

(١) الحجرات آية ١٣ .

(٢) الإسراء آية ٧٠ .

(٣) انظر آية ٣٠ من سورة البقرة ومابعدها .

(٤) الذاريات آية ٥٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

استمالته عن منهج الحق حيث رأى بنفسه إبليس وهو يعارض ربه، ويرد الأمر على الآمر به، ويستكبر محتكماً إلى قياس خاطئ حيث احتكم إلى أصل خلقته، وقال ﴿**أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين**﴾(١)، وكان بفعله هذا من الإباء والاستكبار داخل فى صفوف الكافرين، ولقد أعلن علي مسمع من آدم عليه السلام أصول قضية الخير والشر، وتحدى بأنه سيقعد علي كل طريق للخير، حتى يضل عباد الله من بنى آدم ﴿**قال لأقعدن لهم صراطك المستقيم. ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولاتجد أكثرهم شاكرين**﴾(٢)، ولقد دعا الإسلام الإنسان إلى عبادة ربه الذى خلقه فسواه فعدله، وهيأ له من أسباب التمكين فى الأرض - ووسائل المعيشة ومايحقق له الاستخلاف فيها قال تعالى ﴿ **ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلاً ماتشكرون**﴾(٣) وبين له أن الحياة الدنيا ليست هى الغاية، وإنما هناك حياة أبدية، تتلوا هذه الحياة فيها الجزاء على المسئولية والالتزام قال تعالى ﴿**ولله مافي السموات ومافى الأرض ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى**﴾(٤)، والكون بجميع أجزائه مسخر لخدمة الإنسان الذى فضله الله بالعقل والتفكير، قال تعالى ﴿**هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسمون. ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون. وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون وماذرأ**

---

(١) سورة ص آية ٧٦ .

(٢) الأعراف آيتا ١٦، ١٧ .

(٣) الأعراف آية ١٠ .

(٤) النجم آية ٣١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لكم فى الأرض مختلفاً ألوانه إن فى ذلك لآية لقوم يذكرون. وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون. وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون. وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾(١)، وفى هذه الآيات حديث عن الماديات التى سخرها الله للإنسان ومتى استغلها على الوجه الصحيح، فإنه يكون قد سار في الطريق الذى أراده الله له، ومعلوم أن استغلال هذه الطاقات يحتاج إلى جهد عقلى وفكرى، من أجل تعمير الكون، وهو متوفر لدى الإنسان، يقول المفكر الإسلامى/ محمد إقبال (الرجل العصرى بماله من فلسفات نقدية وتخصيص علمى يجد نفسه في ورطة فمذهبه الطبيعى قد جعل له سلطاناً علي قوى الطبيعة لم يسبق إليه، وقد أغشاه نشاطه العقلى عن توجيه روحه إلي الحياة الروحية الكاملة، أى إلي حياة روحية تتغلغل فى أعماق النفس فهو فى حلبة الفكر فى صراع صريح مع نفسه، وهو فى مضمار الحياة الاقتصادية والسياسية فى صراغ مع غيره) (٢)، والإسلام يدعو الإنسان أن يجتاز هذا العالم بوصفه مجالاً لأداء مهمته فى هذه الحياة، وبذلك يكون سلوكه على مستوى المسئولية قال تعالى ﴿**نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمت ربك خير مما يجمعون**﴾(٣)، ولله حق الطاعة المطلقة على الإنسان فقد أبت المخلوقات جميعها أن تتحمل أمانة التكليف، وتلك المسئولية عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين حملها، قال تعالى ﴿**إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن**

---

(١) النحل الآيات ١٠-١٦ .

(٢) تجديد الفكر الدينى فى الإسلام د/ محمد إقبال ص٢١٥.

(٣) الزخرف آية ٣٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا﴾[١]
والعرض على الإنسان فى الآية إلزام والأمانة هى الفرائض التى ائتمن الله عليها العباد، وقال ابن مسعود هى أمانات الودائع وغيرها، وروى عنه أنها فى كل الفرائض وأشدها أمانة المال، وقال أبي بن كعب من الأمانة أن ائتمنت المرأة علي فرجها، وقيل الأمانة الصلاة. وقال عبد الله بن عمرو بن العاص (الفرج أمانة والأذن أمانة والعين أمانة واللسان أمانة والبطن أمانة واليد أمانة، والرجل أمانة ولاإيمان لمن لاأمانة له[٢] والأمانة تعم جميع وظائف الدين والدنيا على أرجح الأقوال فكل ماائتمن عليه الإنسان من الأعمال والأقوال وسائر سلوكه فهو أمانة يجب عليه أدائها، أخرج السيوطى عن جندب بن عبد الله البجلى (أن من أخلاق المؤمن قوة فى دين، وحزماً فى لين، وإيماناً فى يقين، وحرصاً في علم وقصداً في غنى وتجملاً في فاقة، وتحرجاً عن طمع، وكسباً فى حلال، وبراً فى استقامة، ونشاطاً في هدى، ونهياً عن شهوة، ورحمة للمجهول، وإن المؤمن من عباد الله لايحيف على من يبغض، ولايأثم فيمن يحب، ولايضيع مااستودع ولايحسد ولايطعن، ويعترف بالحق وإن لم يشهد عليه، ولايتنابز بالألقاب، فى الصلاة متخشعاً، وإلى الزكاة مسرعاً، فى الزلازل وقوراً، فى الرخاء شكوراً، قانعاً بالذى له، لايدعى ماليس له، ولايجمح فى الغيظ، ولايغلبه الشح عن معروف يريده، يخالط الناس كى يعلم، ويناطق الناس كى يفهم، وإن ظلم وبغى عليه صبر، حتى يكون الرحمن هو الذى ينتصر له[٣]، وقد سخر الله للإنسان كل مافي الأرض قال تعالى ﴿**هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعاً**﴾[٤] لينتفع به الجميع ولم يحرم علي الإنسان

---

(١) الأحزاب آية ٧٢ .

(٢) تفسير القرطبى جـ٧ ص٥٥٢٢ ط دار الغد العربى .

(٣) الجامع الصغير للسيوطى جـ٢ ص٢٥٩، ٥٣١ .

(٤) البقرة آية ٢٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلا مافيه ضرر بجسده أو عقله، ولم يحرم زينة أبدعها الله فى كونه بل أباح المال الحلال، قال تعالى ﴿**ياأيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالاً طيباً ولاتتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين**﴾(١)، ومدح اليد العليا على لسان نبيه ﷺ ليجمع الإنسان ماشاء من مال، بشرط أن يكون حلالاً ليس فيه ضرر على أحد من الناس، وأن يخرج حق الله فيه ثم يواسى إخوانه المسلمين، فى جميع ملماتهم مااستطاع إلى ذلك سبيلاً وعليه أن يرضى بما قسمه الله له ليكون عزيزاً، وهنا يتحدد السلوك الإنسانى جاء عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: ثلاثة لايكلمهم الله يوم القيامة ولاينظر إليهم رجل حلف علي سلعة لقد أعطى بها أكثر مما أعطى وهو كاذب ورجل حلف علي يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال رجل مسلم، ورجل منع فضل مائة فيقول الله اليوم أمنعك فضلى كما منعت فضل مالم تعمل يداك) (٢).

ولكى يقوم الإنسان بمسئولياته كاملة أوصاه الإسلام بالجار خيراً وذم أذاه ونهى عن الكبر والكبرياء، وظلم الناس والإضرار بهم، ونهى عن الحقد والحسد والتدابر والتباغض، والغش والخداع، وأمر بالبر والمودة وصلة الأرحام، وتراحم الناس، وامتدح عباد الرحمن الذى أخلصوا لله فى طاعتهم فقال تعالى ﴿**وعباد الرحمن الذين يمشون علي الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً. والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً. والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما... والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً. والذين لايدعون مع الله إلهاً آخر ولايقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولايزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما... والذين**

---

(١) البقرة آية ١٨٦ .

(٢) رواه البخارى فى كتاب الشرب والمساقاة باب من رأى أن صاحب الحوض أحق بمائه جـ٥ صـ٥٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لايشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً. والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً﴾(١) وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال (سئل النبى ﷺ عن أكثر مايدخل الجنة قال التقوى وحسن الخلق وسئل ماأكثر مايدخل النار قال الأجوفان الفم والفرج)(٢)، ومن أجل تحقق الخلافة حذر الإسلام من البطالة ودعا إلي الجد فى العمل قال تعالى ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لانضيع أجر من أحسن عملا**﴾(٣) وقال رسول الله ﷺ (علي كل مسلم صدقة؟ فقالوا يارسول الله فمن لم يجد؟ فقال: يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق، قالوا فإن لم يجد؟ قال يعين ذا الحاجة الملهوف، قالوا فإن لم يجد؟ قال فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر فإنه له صدقة)(٤)، بذلك تتحقق الخلافة الإنسانية ويعمر الكون بالطاعة الإلهية .

❑ وفاء الشريعة بمتطلبات الحياة :

إن شريعة الإسلام قد جمعت كل مطالب الإنسانية الراشدة، فقد ارتفعت حتى شملت العلاقات الدولية، وسياسة الحرب والسلام، وتعمقت حتى جعلت إفشاء السلام، وعيادة المريض، وإماطة الأذى عن الطريق شعبة من شعب الإيمان، ثم اتسعت حتى كان عنوانها الإحسان (إن الله كتب الإحسان على كل شئ) وفسره رسول الله ﷺ (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه

---

(١) الفرقان الآيات من ٦٣ - ٧٣ .

(٢) أخرجه ابن ماجة فى كتاب الزهد باب ذكر الذنوب جـ٢ ص١٤١٨ .

(٣) الكهف آية ٣٠ .

(٤) رواه مسلم فى كتاب الزكاة باب أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف جـ١ ص٤٠٤ بلفظ على كل مسلم صدقة قيل أرأيت إن لم يجد قال يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق قال قيل أرأيت إن لم يستطع قال يعين ذا الحاجة الملهوف قال قيل له أرأيت إن لم يستطع قال يأمر بالمعروف .. إلخ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يراك﴾[١]، وقد امتازت هذه الشريعة بعمومها، وكونها خاتمة الشرائع قال تعالى ﴿**وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لايعلمون**﴾[٢]، وبكونها تنفي الحرج من أجل إظهار الحقائق قال تعالي ﴿**يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر**﴾[٣] وقال تعالى ﴿**وماجعل عليكم فى الدين من حرج**﴾[٤]، كما أنها مرتبطة بمصلحة الإنسان فحيثما توجد فثم وجه الله، والحلال مرتبط بالطيبات، والحرام متعلق بالخبائث، قال تعالي في شأن هذه الرسالة وصاحبها ﴿**يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث**﴾[٥]، وأنها لاتكتفى بالمظاهر العامة والشعارات الجوفاء، وإنما تتولى تأصيل مبادئها داخل النفس الإنسانية حتى ينبع سلوك علي مقتضى الإيمان، يتسم بنبل الهدف وشرف المقصد، ومن خصوصيتها أنه لاكهانة فى الإسلام، ولااحتكار للتشريع، وإنما هناك علماء وفقهاء وكل من لديه ملكة علمية وفقه فى الدين، وبصر بأحوال الناس فهو من أهل الاجتهاد)[٦].

وليس كل إنسان ينزجر لما يخشاه فى الآخرة ولهذا تعقب الإسلام شوارد المجتمع بما يسمى بالحدود والتعزيرات، فمن سولت له نفسه قتل أخيه وجد رادعاً هو القصاص قال تعالى ﴿**ولكم فى القصاص حياة ياأولى الألباب**﴾[٧] ومن سولت له نفسه اعتداء علي الملكية الخاصة، فقد شرع له

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الإيما ضمن حديث سؤال جبريل عليه السلام عن الإيمان والإسلام والإحسان جـ١ ص٢٣ عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(٢) سورة سبأ آية ٢٨ .

(٣) البقرة آية ١٨٥ .

(٤) فى الآية ٧٨ من سورة الحج .

(٥) فى الآية ١٥٧ من سورة الأعراف .

(٦) حولية كلية أصول الدين القاهرة ص٤٠٣ - ٤٠٤ ط١٩٨٨م .

(٧) البقرة آية ١٧٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإسلام حد السرقة بقطع يد السارق من الرسغ نكالاً وزجراً، قال تعالى ﴿**والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم**﴾(١)، وأمر الإسلام بتطبيق الحدود دون محاباة لأحد كما جاء عن عروة عن عائشة رضى الله عنها أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التى سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله ﷺ، قالوا ومن يجترئ إلا أسامة ابن زيد حب رسول الله ﷺ، فكلمه أسامة فقال رسول الله ﷺ ياأسامة (أتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام فاختطب فقال (إنما هلك الذين من قبلكم إنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)(٢)، وبتحريم الإسلام لجريمة السرقة لما يترتب عليها من أخطار وعداوة فإنه أباح كل وجوه الكسب الحلال منكراً على من يحرمها قال تعالى ﴿**قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق**﴾(٣)، وأباح كل وجوه العمل الشريف قال تعالى ﴿**فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون**﴾(٤)، وجعل فى أموال الأغنياء حقاً معلوماً للفقراء والمساكين، فقال تعالى ﴿ **والذين فى أموالهم حق معلوم. للسائل والمحروم**﴾(٥)، وقال رسول الله ﷺ (من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لاظهر له ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لازاد له)(٦) وحرم الربا بأنواعه فجعله جريمة مهلكة ماحقة

---

(١) المائدة آية ٣٨ .

(٢) رواه أبو داود فى كتاب الحدود - باب فى الحد يشفع فيه جـ٤ ص١٣٠ .

(٣) الأعراف آية ٣٢ .

(٤) الجمعة آية ١٠ .

(٥) المعارج آيتا ٢٤، ٢٥ .

(٦) رياض الصالحين باب الإيثار والمواساة ص٢٣٩ ط عبد الرحمن محمد .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

للبركة قال تعالى ﴿يمحق الله الربا ويربى الصدقات﴾(١)، وحرم جريمة الزنا لما يترتب عليه من فساد، واختلاط الأنساب، وانتهاك الأعراض وسلب الحقوق قال تعالى ﴿ولاتقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾(٢).

ولذلك قال الشاعر الحكيم: -

عفوا تعف نساؤكم فى المحرم ... وتجنبوا مالايليق بمسلم

إن الزنا دين أن أقرضته ... كان الوفا من أهل بيتك فاعلم

ونظراً لحرص الإسلام على نقاء جو الأسرة، شرح حد القذف لمن يطلق لسانه على عورات المسلمين زوراً وبهتاناً قال تعالي ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة﴾(٣)، وقال تعالى ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولاتقبلوا لهم شهادة أبداً﴾(٤)، وحذر من التربص بطرق الناس لإرهابهم وسلب أموالهم، وإشاعة الرعب فى المجتمع الإسلامى، فشرع حداً يتناسب مع هذه الجريمة قال تعالى ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾(٥)، ومن أجل الحفاظ على قيمة العقل وكرامته حرم الإسلام كل مسكر قال تعالى ﴿ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب

---

(١) البقرة آية ٢٧٦ .

(٢) الإسراء آية ٣٢ .

(٣) النور آية ١٩ .

(٤) النور آية ٤ .

(٥) المائدة آية ٣٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾(١)، فكل مايسكر خمر وكل مايغيب العقل من البيرة والبوظة والحشيش والأفيون والبرشام والبودرة والمواد الكيماوية المغيبة للوعى، فكل ذلك حرام، ونهى الإسلام المسلم عن قتل الأولاد خشية الفقر قال تعالى ﴿**ولاتقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئاً كبيراً﴾**(٢)، وكذلك قتل البنات خشية العار، وحرص الإسلام على كرامة المرأة فأمرها بالحجاب قال تعالى ﴿**وليضربن بخمرهن علي جيوبهن ولايبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن﴾** الآية(٣)، وأمر بغض البصر كما فى مطلع الآية السابقة وأمر المرأة بالقرار فى بيتها ونهاها عن التبرج، قال تعالى ﴿**وقرن في بيوتكن ولاتبرجن تبرج الجاهلية الأولي وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله﴾**(٤)، وحذر الإسلام من السخرية والاستهزاء بالغير فقال تعالى ﴿**يأيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولانساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولاتلمزوا أنفسكم ولاتنابزوا بالألقاب بئس الاثم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾**(٥)، وحذر من الظن والتجسس والغيبة، فإن من يتتبع عورات الناس يفضحه الله

---

(١) المائدة آية ٩٠ والخمر ماخامر العقل لأنها تخالط العقل وتستره وتغيبه والميسر قمار العرب بالأزلام وقيل كل شئ به قمار من نرد وشطرنج والأنصاب هى الأصنام وقيل هى النرد والشطرنج والأزلام هى قدام الميسر التى كانوا يضربونها مقامرة لهواً ولعباً وانظر تفسير القرطبى جـ٣ ص٢٠٥٥، ٢٢٨٣ .

(٢) الإسراء آية ٣١ .

(٣) النور آية ٣١.

(٤) الأحزاب آية ٣٣ .

(٥) الحجرات آية ١١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في جوف بيته قال تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولاتجسسوا ولايغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه﴾(١) وقد امتدح الله الأمة الإسلامية بقوله ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾(٢) وقد روى أبو داود عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ (إن أول مادخل النقص علي بنى إسرائيل كان لارجل يلقى الرجل فيقول ياهذا اتق الله ودع ماتصنع؟ فإنه لايحل لك؛ ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال (لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل علي لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه.. إلى قوله (فاسقون)، ثم قال لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يدى الظالم ولتأطرنه علي الحق أطراً ولتقصرنه على الحق قصراً) (٣)، وقد حدد رسول اله ﷺ مسئولية كل واحد في مجال عمله في حديثه الذى رواه البخارى عن أبي عمر رضى الله عنهما أنه ﷺ قال: (كلكم راع ومسئول عن رعيته فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل فى أهله راع وهو مسئول عن رعيته، والمرأة فى بيت زوجها راعية وهى مسئولة عن رعيتها، والخادم فى مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته والرجل فى مال أبيه راع ومسئول عن رعيته، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) (٤).

---

(١) الحجرات آية ١٢ .

(٢) آل عمران آية ١١٠ .

(٣) رواه أبو داود فى كتاب الملاحم باب الأمر والنهى جـ٤ ص١١٩ ط دار الريان. والآيات من سورة المائدة من ٧٨ - ٨١ .

(٤) أخرجه البخارى فى فتح ا لبارى كتاب الأدب باب رحمة الناس والبهائم جـ١ ص٤٥٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ونظراً لوقوع بعض الانحرافات الخلقية من بعض الأفراد في داخل المجتمعات فقد تنشأ المشاكل الاقتصادية بسبب الفساد الخلقي الذى يؤدى إلى ضياع المال دون مقابل، فشرب الخمر والحشيش والأفيون، والقمار والزنا، واللعب ليلاً في صالات الرقص والملاهى والكباريهات ضياع للمال دون عوض، وضياع للوقت، وضياع للصحة والمال والوقت والصحة كلها وسائل إنتاج[١]، جاء عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال (الاقتصاد في النفقة نصف العيش والتودد إلي الناس نصف العقل وحسن السؤال نصف العلم)[٢]، وروى البخارى عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ (إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ومنع وهات وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال[٣]، ومن ذلك نرى أن الهدى الربانى يدعو إلى الاحترام المتبادل بين الناس عامة والمسلمين خاصة وهذا الاحترام يؤدى إلي التعاون والتراحم، والتعارف وإشاعة الخير بين الناس، والتحلي بمكارم الأخلاق دون إضرار أو إثارة للفتن والمشاكل، قال تعالى ﴿**يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾[٤]، بل إن الإسلام جعل من صفات المتقين أنهم ﴿**الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين. والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون**﴾[٥] فإذا كان هناك من سلوك سئ،

---

(١) الدعوة الإسلامية فى عهدها المدنى د/ رؤوف شلبى جـ٣ ص٣٩٩ - ٤٠١ .

(٢) الجامع الصغير للسيوطى جـ٣ ص١٢٣.

(٣) رواه البخارى فى كتاب الاستقراض باب ماينهى من إضاعة المال جـ٥ ص٨٣- فتح البارى.

(٤) الحجرات آية ١٣ .

(٥) آل عمران آيتا ١٣٤، ١٣٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وجب علي أفراد المجتمع مقاطعة صاحب هذا السلوك ليكون منبوذاً، جاء عن عائشة رضى الله عنها قالت: استأذن رجل على رسول الله ﷺ وأنا عنده فقال بئس ابن العشيرة أو أخ العشيرة ثم أذن له فألان له القول فلما خرج قلت له يارسول الله قلت له ماقلت ثم ألنت له القول فقال ياعائشة (إن شر الناس من تركه الناس أو ودعه الناس اتقاء فحشه) (١) إن المجتمع إذا ساده التعاطف والتراحم، ورعاية مشاعر الأخوة والمحبة تتزايد فيه الصلة والمودة وتنتفى فيه الجرائم قال رسول الله ﷺ (ترى المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى)(٢) والإسلام حينما حدد المسئولية فإنه شرح العقوبة للمخالفين، وأعظم العقوبات للجرائم التى تمس كيان المجتمع مثل السرقة والحرابة والبغى والغصب والزنا والرشوة وشهادة الزور والردة، لذلك لم يترك الشارع لولى الأمر تقديرها بل قدرها في كتابه، وجاءت السنة مفصلة وموضحة لها، وهى عقوبات لجرائم محددة، وللقتل والجروح، وكذلك الكفارات التى وضعها الشارع علي جرائم، ثم التعازير وهى عقوبات ترك الشارع تقديرها لولى الأمر، وهى تتفاوت من الغرامة إلى التشهير أو التهديد أو التوبيخ أو الهجر أو الوعظ أو الحبس أو القتل، والإسلام بهذا فتح المجال أمام القضاة وأولي الأمر ليعالجوا الجريمة في مجتمعاتهم بحسب مايرونه صالحاً لخدمة المجتمع الإسلامى. إعتماداً على منهج التشريع الإسلامى ..

---

(١) أخرجه الترمذى فى كتاب الزهد باب ماجاء فى المداراة جـ٣ ص٢٤٢ .

(٢) أخرجه البخارى فى فتح البارى كتاب الأدب باب رحمة الناس والبهائم جـ١٠ ص٤٥٢ عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

﴿ الموازنة بين مطالب الروح ومطالب الجسد ﴾

تتميز ملامح الإسلام بالموازنة بين مطالب الروح وحاجات الجسد وتلك هى طبيعة الإنسان فهو مادة وروح، وغذاء المادة فيما قدر الله في الأرض من أقوات، وماسخره من كائنات قال تعالى ﴿**هو الذى جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه**﴾(١)، وقال تعالى ﴿**وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار. وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار**﴾(٢) وغذاء الروح فيما أنزل الله من وحى وماشرع من هدى قال تعالى ﴿**ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولاتتبع أهواء الذين لايعلمون**﴾(٣) وقال تعالي ﴿**يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن إلا وأنتم مسلمون**﴾(٤) وروى النحاس عن مرة بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ حق تقانه أن يطاع فلا يعصى وأن يذكر فلاينسى وأن يشكر فلا يكفر، وذكر المفسرون أنه لما نزلت هذه الآية قالوا يارسول الله من يقوى علي هذا وشق عليهم فأنزل الله عز وجل ﴿**فاتقوا الله مااستطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**﴾(٥)، وقال تعالى ﴿**وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم**﴾(٦)، وجاء عن عقبة بن عامر

---

(١) الملك آية ١٥ .

(٢) إبراهيم آيتا ٣٢، ٣٣ .

(٣) الجاثية آية ١٨ .

(٤) آل عمران آية ١٠٢ .

(٥) انظر تفسير القرطبى جـ٣ ص١٣٩٩ ط دار الريان والآية من سورة التغابن ١٦ .

(٦) الأنفال آية ٦٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول (وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة قال ألا إن القوة الرمى. ألا إن القومى الرمى. ألا إن القوة الرمى) قالها ثلاثاً[١] ولما كان الإنسان بحاجة إلى إشباع رغباته وغرائزه شرع الإسلام له الزواج مادام يستطيع ذلك، وكذلك إشباع رغباته المالية عن طريق العمل وبذل الجهد، فإن الجهد الإنسانى يجب أن يبلغ أقصى مداه فى اتجاهين لابديل عنهما في حياة الإنسان هما النقاء العقائدى والبناء الحضارى قال تعالى ﴿**يأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون. الذى جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم**﴾[٢]، ومن هنا كان المبدأ القرآنى في النصيحة التى وجهها أولوا العلم لقارون ﴿**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولاتبغ الفساد فى الأرض**﴾[٣]، فالمادية وحدها مرفوضة لأنها تهوى بالإنسان من سمو عليائه إلى مستوى أدنى يلتقى فيه بالعجماوات، ولذلك نعى القرآن على الذين جعلوها غايتهم قال تعالى ﴿**والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم**﴾[٤]، وماوقف فى وجه الحق علي مر الدهور والعصور إلا المترفون قال تعالى: ﴿ **وماأرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون. وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً ومانحن بمعذبين. قل ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لايعلمون. ومأموالكم ولاأولادكم**

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الإمارة باب فضل الرمى والحث عليه جـ٢ ص١٦١ .

(٢) البقرة آيتا ٢١، ٢٢ .

(٣) القصص آية ٧٧ .

(٤) سورة محمد آية ١٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالتى تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً﴾[١]، والإسلام دين الوسطية قال تعالى: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً**﴾[٢] فهو يرفض الرهبانية لأنها سلبية، وانعزال عن عمارة الأرض، وإهدار لملكات الإبداع التى وهبها الله للإنسان، ولذلك ذم القرآن القائمين بالرهبانية فقال ﴿**ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها**﴾[٣] تروى كتب السنة أن ثلاثة نفر قدموا إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادته فعن أنس بن مالك قال جاء ثلاثة نفر إلى بيوت أزواج النبى يسألون عن عبادته فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها؟ فقالوا وأين نحن من النبى ﷺ وقد غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر فقال أحدهم أما أنا فإنى أصلى الليل أبداً وقال الآخر وأنا أصوم الدهر أبداً ولاأفطر وقال الآخر وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً فجاء إليهم رسول الله ﷺ فقال أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى)[٤]، ولما كان من الغرائز التى أودعها الله في خلقه محبة المتع الدنيوية، فقد أخبر القرآن عن ذلك فى قوله تعالى ﴿**زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب**﴾[٥] حيث يخبر الله عز وجل في هذه الآية الكريمة عما زين للناس فى هذه الحياة من أنواع الملاذ من النساء

---

(١) سبأ الآيات من ٣٤ - ٣٧ .

(٢) البقرة آية ١٤٣ .

(٣) فى آية ٢٧ من سورة الحديد .

(٤) رياض الصالحين باب فى الاقتصاد فى الطاعة - ص٧٥ ط عبد الرحمن محمد .

(٥) آل عمران آية ١٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والبنين وبدأ بالنساء لأن الفتنة بهن أشد، فأما إذا قصد الإعفاف بهن وكثرة الأولاد فهو أمر مرغوب فيه، وحب المال تارة يكون للفخر والخيلاء والتكبر على الضعفاء والتجبر على الفقراء فهو مذموم، وتارة يكون للنفقة في القربات وصلة الرحم ووجوه البر والطاعات فهو ممدوح شرعاً قال تعالى: ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾[1] ومثل ذلك الخيل فهى مذمومة إن كانت للفخر والخيلاء ويثاب عليها صاحبها إن كانت معدة لسبيل الله وهكذا فى الإبل والبقر والزراعة إما أجر لصاحبها وإما وزر عليه[2]، وقد حذر النبى ﷺ من فتنة المال فقال لأصحابه حينما جاءه الصحابى أبو عبيدة بمال من البحرين وأسرع الناس إليه (أبشروا وآملوا فوالله ماالفقر أخشى عليكم ولكنى أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم.[3]

☐ التكاليف الشرعية علي قدر الطاقة :

ونظراً لأن التكاليف الأساسية هى الفيصل بين قيمة الإنسان وغيره من المخلوقين فإنها تعنى المساواة التى ينبنى عليها المجتمع الإسلامى ولذلك جاء النداء بلفظ (يأيها الذين آمنوا) متكافئاً بين الذكور والإناث فى الإلتزام بما شرعه الله من أحكام فى مجال الصلاة يقول تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة﴾[4] وفي الصيام يقول تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم

---

(١) الفرقان آية ٦٧ .

(٢) تفسير ابن كثير جـ١ ص٣٥١ - ٣٥٢ .

(٣) أخرجه ابن ماجه فى كتاب الفتن باب فتنة المال جـ٢ ص١٣٢٤ عن عمرو بن عوف .

(٤) البقرة آية ١٥٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تتقون﴾[١] وفي مجال الوفاء بالعقود يقول تعالى **﴿يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا مايتلى عليكم﴾**[٢] وفي مجال الإنفاق يقول تعالى **﴿يأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ماكسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولاتيمموا الخبيث منه تنفقون﴾**[٣] وفي مجال الأكل من الطيبات يقول تعالى **﴿يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾**[٤] وفى مجال القصاص يقول تعالى: **﴿يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى﴾**[٥] وفي مجال التحذير من الحرام يقول تعالى محذراً من تحريم الطيبات **﴿يأيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ماأحل الله لكم﴾**[٦] وفي التحذير من أكل الأموال بالباطل يقول تعالى **﴿يأيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾**[٧] وفي التحذير من المعاملات الربوية يقول تعالى: **﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربا إن كنتم مؤمنين﴾**[٨]، وفي التحذير من الفرار من أرض الموقف فى الجهاد يقول **﴿يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار﴾**[٩] وفى التحذير من موالاة غير المؤمنين **﴿يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾**[١٠]

---

(١) اللبقرة آية ١٨٣.

(٢) المائدة آية ١ .

وانظر آية ٣ فى قوله (حرمت عليكم الميتة والدم) .

(٣) البقرة آية ٢٦٧ .

(٤) البقرة آية ١٧٢ .

(٥) البقرة آية ١٧٨ .

(٦) المائدة آية ٨٧ .

(٧) النساء آية ٢٨.

(٨) البقرة آية ٢٧٨ .

(٩) الأنفاد آية ١٥ .

(١٠) المائدة آية ٥١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهذه التسوية المحكمة في كافة الحقوق والواجبات تستتبع التسوية في الجزاء والحساب لافرق بين ذكر وأنثى ولابين كبير وصغير ولابين قوى وضعيف ولابين أبيض وأسود، فليس هناك من تفرقة في الجزاء بسبب لون أو جنس أو قبيلة أو جاه، ولاصراع بين الطبقات فالكل أمام قانون الإسلام سواء، فالكل لآدم وآدم من تراب وقد قال ﷺ في خطبته في حجة الوداع (يأيها الناس إن ربكم واحد لافضل لعربى على عجمى ولالعجمى على عربى ولالأسود على أحمر ولالأحمر على أسود إلا بالتقوى إن أكرمكم عند الله أتقاكم ألا هل بلغت قالوا بلى يارسول الله قال فليبلغ الشاهد الغائب)[١].

ومن هنا سوى الإسلام في الجزاء بين الناس جميعاً قال تعالى: ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لانضيع أجر من أحسن عملاً**﴾[٢] وقال تعالى ﴿**من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون**﴾[٣] وأخرج الترمذى والحاكم عن أم سلمة قالت يارسول الله لأسمع الله ذكر النساء فى الهجرة بشئ فأنزل الله ﴿**فاستجاب لهم ربهم إنى لاأضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى**﴾[٤] وأخرج الحاكم عنها أنها قالت قلت يارسول الله تذكر الرجال ولاتذكر النساء فأنزل الله ﴿**إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً**﴾[٥]. وأنزلت آية أنى لاأضيع عمل عامل... السابقة[٦] ومن رحمة الله أنه ضاعف ثواب العمل قال

---

(١) رواه البيهقى فى سننه ورواه البخارى فى فتح البارى كتاب المناقب جـ٦ ص٦٠٩.

(٢) الكهف آية ٣٠.

(٣) النحل آية ٩٧.

(٤) آل عمران آية ١٩٥.

(٥) الأحزاب آية ٣٥.

(٦) أسباب النزول للواحدى ص٣٠٠ والمستدرك للحاكم كتاب التفسير جـ٢ ص٣٠٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لايظلمون﴾(١).

وأمر الله بالعمل الشريف من أجل البناء وتعمير الحياة فقال تعالى ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾(٢) وقال تعالى ﴿اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادى الشكور﴾(٣) وقال رسول الله ﷺ فيما جاء عن المقدام ابن معد يكرب (ماأكل أحد طعاماً قط خير من أن يأكل من عمل يده وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده)(٤). وضمن أجر العاملين فقال (أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه)(٥) وأمر بإتقان العمل على أكمل وجه فقال رسول الله ﷺ (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)(٦) فلا غش ولارياء ولاخيانة فى العمل بل على الإنسان أن يعلم أن الله مطلع عليه يراقب حركاته وسكناته قال تعالى ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾(٧). ومن رحمة الله أنه جعل التكاليف للجميع دون تفرقة وأنها تتفق وطاقة البشر قال تعالى ﴿لايكلف الله نفساً إلا وسعها لها ماكسبت وعليها مااكتسبت﴾(٨)، وفى توجيهات رسول الله ﷺ أن العمل القليل الدائم خير

---

(١) الأنعام آية ١٦٠ .

(٢) التوبةآية ١٠٥ .

(٣) سبأ فى آية ١٣ .

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب البيوع باب كسب الرجل وعمله بيده جـ٥ ص٢٠٩ فتح البارى.

(٥) سنن ابن ماجة كتاب الرهون باب أجر الأجير جـ٢ ص٨١٧ عن عبد الله بن عمر .

(٦) كشف الخفاء للعجلونى جـ٢ ص٢٨٦ ونسبة للطبرانى .

(٧) سورة ق آية ١٦. وحبل الوريد حبل العاتق وقال الحسن الوريد الوتين عرق معلق بالقلب وهو تمثيل للقرب .

(٨) البقرة الآية ٢٨٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من الكثير المنقطع وأن أفضل العمل ماداوم عليه صاحبه مراقباً ربه فيه، وقد نفى سبحانه الحرج والجناح عن غير القادر فقال تعالى ﴿**وماجعل عليكم فى الدين من حرج**﴾(١)، وجعل جزاء العمل فى الدنيا ممثلاً في النعم الدنيوية كنعمة الحياة ونعمة الرزق ونعمة الولد والنسل ونعمة الدين ونعمة التمكين فى الأرض ونعمة النصرة والرعاية، ونعمة الأمن والأمان وغيرها، أما فى الآخرة فبالجزاء العظيم ﴿**يبشرهم ربهم برحمةمنه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم**﴾(٢)، فيها مالاعين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر علي قلب بشر ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿**فلا تعلم نفس ماأخى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون**﴾(٣)، والحكمة من جعل التشريع قدر الطاقة حتى لايمل الإنسان من العمل، ولكن يداوم عليه بصدق وعزيمة، وليعلم أنه أمانة ومسئولية تحملها في دنياه من أجل العيش وتعمير الكون، فلا يترك عمله أو يغش فيه أو يخون أو ينافق ويداهن، فيمارس نشاطه فى حضور رئيسه فإن لم يجده نافق وترك العمل كما يحدث من بعض الموظفين ممن لاخلاق لهم، والإسلام حث على البر والتقوى لاعلى الإثم والعدوان قال تعالى: ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب**﴾(٤) إن فى شريعة الله صلاح للكون كله لتتحقق الغاية العظمى من خلق الإنسان وهى العبادة ولذلك جاءت تكاليف الإسلام فى العبادات كلها من صلاة وزكاة وصوم وحج وجهاد وبر وتعاون وتراحم وصلة القربى والمحافظة على حقوق الجيران والمسلمين لكل الناس فشرعت المعاملات كلها فى العقود المختلفة التى تضمن بها الحقوق، والمعاملات الإنسانية من بيع وإيجار بما ليس

---

(١) الحج الآية الأخيرة .

(٢) التوبة آية ٢١ .

(٣) السجدة آية ١٧ .

(٤) المائدة آية ٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فيه ضرر، وحرمت كل مافيه إضرار بالنفس البشرية فى المأكل والمشرب، وحذرت الإنسان من أن يلقى بنفسه فى التهلكة وحذرت من شهادات الزور أو الظلم والغصب وأكل الأموال بالباطل عن طريق المعاملات الربوية أو الاحتكار أو الغش أو السرقة أو الرشوة أو غير ذلك من المحرمات .

وهذه المساواة فى كافة الحقوق والواجبات هى أساس بناء المجتمع الإسلامى، الذى يقوم علي المودة والمحبة والترابط، لأن الجميع أخوة، وأمام قانون العدالة الإلهية سواء، **﴿ولايظلم ربك أحداً﴾**(١)، وجاءت عدالة السماء **﴿قل إنما حرم ربى الفواحش ماظهر منها ومابطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا علي الله مالاتعلمون﴾**(٢) وعن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما مشتبهات لايعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب) (٣)، وأوجب الإسلام على أولياء الأمور مراقبة العمال الذين يعملون تحت إمرتهم ومحاسبتهم علي أعمالهم، وذلك للقضاء على وسائل الغش والسرقة والتزوير والرشوة وغيرها مما يدمر قيم المجتمع المسلم، فلقد مر رسول الله ﷺ على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً فقال ماهذا ياصاحب الطعام؟ فقال أصابته السماء يارسول الله؟ فقال أفلا جعلته فوق الطعام كى يراه الناس من غشنا فليس منا) (٤) وعن أبى حميد الساعدى قال (استعمل رسول الله

---

(١) الكهف آية ٤٩ .

(٢) الأعراف آية ٣٣ .

(٣) رواه مسلم فى باب أخذ الحلال وترك الشبهات جـ٢ ص٦٩٧- ٦٩٨ .

(٤) رياض الصالحين باب النهى عن الغش والخداع ص٥٢٤ عن أبى هريرة .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ﷺ رجلاً من الأزد على صدقات بنى سليم يدعى ابن اللتبيه - أو الأتبيه - فلما جاء حاسبه قال هذا لكم وهذا هدية فقال رسول الله ﷺ فهلا جلست فى بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقاً؟ ثم خطبنا رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإنى أستعمل الرجل منكم علي العمل بما ولانى الله فيقول: هذا مالكم وهذا هدية أهديت لى أفلا جلس فى بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقاً والله لايأخذ أحد منكم منها شيئاً بعيراً حق إلا لقى الله تعالى بحمله يوم القيامة فلا عرفن أحد منكم لقى الله يحمل بغير له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر، ثم رفع يديه حتى رؤى بياض إبطيه ثم قال اللهم هل بلغت بصر عينى وسمع أذنى)[١] فإذا وقع المسلم فى ذلة نفس وجب عليه أن يتوب إلى ربه، بالتخلى عن سائر الذنوب والمعاصى، والندم على كل ذنب سالف، والعزم علي عدم العود إلى الذنب لقوله تعالى **﴿يأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم..﴾** الآية[٢] وعليه أن يراقب ربه في جميع أعماله وأقواله بأن يأخذ نفسه بمراقبة الله فى كل لحظة من لحظات حياته، حتى يتم لها اليقين بأن الله مطلع عليها رقيب بأحوالها، ولذلك قال أحد الحكماء : -

إذا ماخلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل على رقيب
ولاتحسبن الله يغفل ساعة ولاأن ماتخفي عليه يغيب

ولما كان المسلم عاملاً في هذه الحياة ليل نهار على مايسعده في الآخرة ويؤهله لكرامتها ورضوان الله فيها، وكانت الدنيا هى موسم عمله، وجب عليه أن ينظر إلي الفرائض والنوافل ثم يحاسب نفسه علي ماعمل[٣] قال تعالى

---

(١) أخرجه مسلم فى باب تحريم هدايا العمال جـ٢ ص١٢٨ ورواه البخارى فى باب محاسبة الإمام وعماله جـ٢ ص٢٤٤ .

(٢) التحريم آية ٨ .

(٣) منهاج المسلم لأبى بكر الجزائرى ص٨٧ - ٨٩ بتلخيص وتصرف .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾(١) فقوله ﴿ولتنظر نفس﴾ هو أمر بالمحاسبة على ماقدمت لغدها المنتظر من قبل ﴿أن تقول نفس ياحسرتى على مافرطت فى جنب الله وإن كنت لمن الساخرين﴾(٢) وقال عمر رضى الله عنه ﴿حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا﴾(٣) أى حاسبوا أنفسكم وانظروا ماأدخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم عرضكم على ربكم)(٤)، وقد حدد الإسلام المسلم الحقيقى فقال فيما جاء عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم)(٥) فإذا ماأدى كل إنسان ماكلف به من أعمال تتفق مع طاقته البشرية، فإنه يكون قد حفظ الأمانة وأداها، وصان نفسه من أدران الرزيلة وتحلي بالفضائل التى تجعل قاعدة المجتمع الأصلية سليمة البنيان، قال تعالى ﴿أفمن أسس بنيانه علي تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لايهدى القوم الظالمين﴾(٦)، ومن هنا كانت حكمة الإسلام فى تحديد المسئولية ووضع العقاب الرادع لكل جريمة بما يناسبها لتطهير المجتمع الإسلامى من أثر الجريمة النكراء وحفظه للكيان الإنسانى قال تعالى: ﴿ولاتقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً. ولاتمش فى الأرض مرحاً إنك

---

(١) الحشر آية ١٨ .

(٢) الزمر آية ٥٦ .

(٣) إحياء علوم الدين للغزالى جـ٤ ص٣٦٩ .

(٤) تفسير ابن كثير جـ٤ ص٣٤٢ .

(٥) رواه الترمذى في كتاب الإيمان باب أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده جـ٤ ص٢٨٤ عن أبى هريرة.

(٦) التوبة آية ١٠٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً. كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها﴾(١)..

﴿الجزاء من جنس العمل﴾

ولما كان العمل مطلوباً من أجل بناء المجتمع وتقدمه وتمكين المؤمنين فى الأرض نظراً لصدقهم مع ربهم قال تعالى **﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً﴾**(٢) وهذا التمكين والاستخلاف في الأرض وتبديل الخوف بالأمن، إنما يكون بالعمل الجاد المخلص، والجهاد في سبيل الله من أجل إعلاء كلمة الله، ولما كان الإنسان غير معصوم من الخطأ إما اتباعاً لهوى النفس الأمارة بالسوء، أو بسبب وسوسة الشيطان وتزيينه الأعمال الشريرة فى صورة حسنة قال تعالى **﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء﴾**(٣) فقد فتح الله باب التوبة، ولما كان التكليف على قدر الطاقة البشرية كان هناك إلزام بالعمل الجاد وتحذير من المخالفات، ولذلك جاء التشريع بتحديد المسئولية فكلكم راع ومسئول عن رعيته وقال تعالي **﴿لايكلف الله نفساً إلا وسعها لها ماكسبت وعليها مااكتسبت﴾**(٤) أى لها ثواب ماقدمت من عمل خير ينتفع به العباد والبلاد، وعليها إثم مااكتسبت من عمل يترتب عليه فساد المجتمع قال تعالى: **﴿ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله**

---

(١) الإسراء الآيات ٣٦، ٣٧، ٣٨.

(٢) النور آية ٥٥.

(٣) فاطر آية ٨.

(٤) البقرة الآية الأخيرة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

علي مافي قلبه وهو ألد الخصام. وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لايحب الفساد. وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد﴾(١).

وإذا كان هذا نهج بعض البشر فى الحياة بالرياء وقوة الحجة باللسان والحلف الكاذب والسعى في الأرض بالإفساد وإهلاك الحرث والنسل، وعدم قبول النصيحة، فلابد أن يكون له جزاء يتناسب مع عمله، ولذلك شرع الله الحدود تتفق مع جنس العمل الذى يعمله الإنسان الشرير من القطع لليد في السرقة ومن الجلد أو الرجم لمن ينتهك الأعراض أو القتل للمغتصب أو الجلد لشارب المسكرات، أو لمن يشبع الفاحشة ويرمى غيره بما ليس فيه إلى غير ذلك، ولم يسو الإسلام في الجزاء بين الصالح والطالح قال تعالى: **﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار﴾**(٢) وقال تعالي: **﴿ولله مافي السموات ومافى الأرض ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين آحسنوا بالحسنى﴾**(٣) والإنسان بخلافته لله فى أرضه سخر الله له كل مافى الكون من أجل الانتفاع به وتعمير الكون وتحقق الخلافة على أساس سليم، أوجب الإسلام عليه أن يطيع الله ورسوله، ويؤدى الأمانات التى تحملها من التشريع، والخلق النبيل والودائع والأموال والحقوق الخاصة والعامة فى داخل مجتمعه، فإذا قصر أو نافق يكون قد خان الأمانة والله يقول **﴿يأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾**(٤)، وأوجب الإسلام على ولى الأمر محاسبته فى الدنيا على ماوقع منه من تقصير أو تزوير أو غش أو

---

(١) البقرة الآيات من ٢٠٤ - ٢٠٦ .

(٢) سورة ص آية ٢٨ .

(٣) النجم آية ٣١ .

(٤) الأنفال آية ٢٧ ومابعدها .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

غير ذلك من سلوكيات شاذة، كما أوجب على أولى الأمر مكافأة المجتهد فى الدنيا بحوافز مادية ومعنوية تقديراً لجهودهم ونشاطهم، ونشاهد ذلك فى داخل بلدنا الحبيب الذى يجود بالخير وأبناؤه خير أجناد الأرض أما فى الآخرة فيأتى الجزاء الذى تقشعر منه الجلود للمخالفين ﴿**ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين. وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم لايمسهم السوء ولاهم يحزنون**﴾(١)، وقال تعالى: ﴿**إن الذين لايرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون. أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون. إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم**﴾(٢) فهذا بيان لجزاء النفس البشرية على ماقدمت فى الدنيا من خير أو شر فتنال جزاءه فى الدنيا والآخر قال تعالى ﴿**ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها. قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها**﴾(٣) ولم تكن الدنيا هى الغاية، ولذلك جعل الله لها نهاية ليحدد الجزاء لكل إنسان على ماصنع ﴿**فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره**﴾(٤) وينكر الحق على من تغره الدنيا ويقدم عليها طالباً شهواتها دون محاسبة لنفسه فيقول ﴿**أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لاترجعون**﴾(٥) ليكون عظة وعبرة للغافلين الذين يظلمون أنفسهم ويظلمون غيرهم، وفي الحديث الشريف عن سهل بن سعد الساعدى قال جاء رجل إلى

---

(١) الزمر آيتا ٦٠، ٦١.

(٢) يونس الآيات من ٧-٩.

(٣) سورة الشمس الآيات من ٧-١٠.

(٤) الذاريات آيتا ٧، ٨.

(٥) المؤمنون آية ١١٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رسول الله ﷺ فقال: دلنى على عمل إذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس قال (ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس يحبوك)(١) فالطمع والجشع والتكالب على الدنيا وطلب شهواتها وملذاتها كلها وسائل مدمرة للأخلاق، وهى سبب الانحراف والوقوع في الخطأ، فكم من سارق يسرق من أجل ذلك، وكم من مزور يفعل من أجل الشهرة أو الثراء، وكم من خائن يخون ضميره على حساب عمله ﴿ولاتحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾(٢).

(فكل نفس بما كسبت رهينة) (وكل الناس يغدوا فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها) ولذلك يقول الرسول الكريم ﷺ فيما جاء عن أبى برزة رضى الله عنه (لاتزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن علمه فيم عمل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيم أبلاه)(٣).

❐ المسئولية الفردية :

ولما كان التشريع مناسباً للطاقة البشرية وموجهاً للجميع دون تفرقة بحسب لون أو جنس أو نسب أو غيره كما سبق فقد ألزم الإسلام كل فرد بالمسئولية كما اتضح من قبل والمسئولية الفردية هى صفة وجدانية يدركها الفرد عندما يشعر بالواجب ويقوم بأدائه مستجيباً لنداء الحق بقوله أفعل أو لاتفعل فيحس بالآخرين من حوله محترماً إياهم محافظاً على ماكلفه الله به من عمل. فإنه قد تحمل الأمانة وهى كل ماأوتمن عليه من أمور العقيدة والشريعة وبحكم كونه خليفة لله في أرضه فإن أمانة العقيدة تشمل التمسك

---

(١) رواه ابن ماجة فى كتاب الزهد باب الزهد فى الدنيا جـ٢ ص١٣٧٤ .

(٢) سورة إبراهيم آية ٤٢ .

(٣) أخرجه الترمذى فى سننه فى كتاب صفة القيامة باب فى القيامة جـ٤ ص١٨٨ عن أبى برزة الأسلمى .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بأصول الدين من الإيمان بالله وملائكه وكتبه ورسله واليوم الآخر قال تعالى ﴿**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا**﴾(١) والشريعة تتمثل فى أداء التكاليف الشرعية من الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وبر الوالدين وصلة الأرحام ومودة المسلمين والرحمة بهم وجهاد النفس والبر بالجيران وحسن معاملتهم ثم أحكام المعاملات فى البيع والشراء والعقود المتنوعة ثم فى الأخلاقيات الحسنة قال تعالى ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون. وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولاتنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا**﴾(٢) ثم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى هو سمة الأمة المسلمة. ثم التمسك بمنهج التشريع فى ترك المحرمات التى نهى الله عنها من القتل والاغتصاب والزنا وشرب الخمر والتعدى علي حقوق الغير والتزوير وأخذ الرشا والغش والخيانة والكذب والرياء وغير ذلك مما نهى الله عنه وأمانة التشريع هى المذكورة فيما سبق في قوله تعالى ﴿**إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا**﴾(٣) لأنه لم يرعها حق رعايتها ولم يؤدها كاملة ولذلك كان ظلوماً لنفسه يحملها جهولاً بها لكونه قد خان الأمانة الممثلة فى التشريعات بل إنه قد خان الأمانات الدنيوية مما استودع عنده من أموال أو عقود نتيجة طمع أو اتباع لهوى النفس الأمارة بالسوء، وقد حثه الله على الجهاد من أجل إعلاء كلمة الله وإحقاق الحق وعدم الحيد عنه قال تعالى ﴿**يأيها**

---

(١) البقرة آية ٢٨٥ .

(٢) النحل آيتا ٩٠، ٩١.

(٣) الأحزاب آية ٧٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو علي أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا) (١).

وهذا أمر بإقامة العدل والشهادة على وجهها الصحيح وعدم الميل أو الحيد اتباعاً لهوى أو مراعاة لصلة أو قرابة فالله مطلع على الجميع عالم بما في ضمائرهم وماتكنه نفوسهم وقال تعالى ﴿**وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وماجعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء علي الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولي ونعم النصير**﴾ (٢).

وفي بعض الغزوات وعندما عاد المسلمين من غزوة تبوك قال لهم الرسول الكريم رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قالوا وماالجهاد الأكبر يارسول الله قال جهاد النفس) (٣).

ولما كانت أمانة التشريع المتمثل فى العقيدة والسلوك والأخلاقيات المتعلقة بالأعمال كانت استهانة الإنسان بما يوكل إليه من أعمال مسئولية يؤاخذ عليها القانون وقد حدد رسول الله ﷺ المسئولية فى حديث (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) (٤) السابق الذى رواه الإمام مسلم والذى حدد

---

(١) النساء، آية ١٣٥ .

(٢) الحج الآية الأخيرة .

(٣) تفسير البضاوى جـ٢ ص١٠١ وتفسير أبي السعود جـ٤ ص٣٥ والتفسير الواضح مجلد ٣ جـ١٩ ص٧٧ .

(٤) أخرجه مسلم فى كتاب الطهارة باب فضل الوضوء جـ١ ص١١٤ عن أبى مالك الأشعرى.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مسئولية كل فرد من الحاكم والمحكوم والرجل في أهل بيته والمرأة في بيت زوجها والخادم فى مال سيده ليحث الجميع على العمل الجاد والإخلاص فيه وأداء الحقوق كاملة فقد حدد المسئولية ليضع المنهج الشامل لبناء المجتمع بناء سليماً وعلاج مايقع من أخطاء حتى لايترتب على ذلك تدهور للمجتمع ولذلك قال ﷺ (الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ مابين السموات والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك. كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها)[1] وفى حديث الاستهام على السفينة الأسبق[2] الذى صور القائم علي حدودالله والواقع فيها كمن اشتركوا في ركوب سفينة فصار بعضهم فوقها وبعضهم فى أسفلها وكان الذين فى أسفلها إذا أرادوا السقاء مروا علي من فوقهم فتأذوا منهم فأرادوا أن يخرقوا خرقاً فى السفينة ليستقوا منه فإن تركوهم ومأأرادوا هلكوا جميعاً وإن منعوهم كانت النجاة للجميع فإن المسئوليج تحتم على أهل كل نصيب أن يتحملوا رعاية إخوانهم وعدم إيذائهم بأية وسلية من وسائل الإيذاء وهذا يتمثل حديثاً فى وسائل التدمير المختلفة ووسائل الإرهاب التى تجعل الإنسان لايأمن على نفسه وعلى ماله وأهله وولده وهى تنشأ عن عدم الشعور بالمسئولية وعدم معرفة حقوق الوطن وحقوق أبنائه علي بعضهم وعدم معرفة مبادئ الدين واحترام حقوق الإنسان ومنهج الإسلام يدعو إلى سعادة النفس الإنسانية واطمئنانها فى الحياة فإن كانت نفساً أمارة بالسوء وجب التبرئة منها لتصير نفساً لوامة تلوم صاحبها على ماوقع منها فإن تحقق ذلك فى النفس البشرية فإنها تصل إلى درجة الاطمئنان فى الحياة

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب الاستفراض وسبق تخريجه في ص٢١ .

(٢) (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة. إلخ وأخرجه البخارى وسبق تخريجه فى ص٧ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتفوز برضا خالقها سبحانه ﴿**يأيتها النفس المطمئنة. ارجعى إلي ربك راضية مرضية. فادخلي في عبادى. وادخلى جنتى**﴾[١]..

ولما كان الفرد هو الأساس فى المجتمع فإن المسئولية تلقى على عاتقه فى مجال عمله أياً كان نوع العمل فى الحياة من أجل الاستقرار والعيش قال تعالى: ﴿**هو الذى جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه**﴾[٢] ولذلك حرم عليه الإسلام التعدى على حقوق الآخرين سواء أكانت حقوقاً فردية أو جماعية أو حقوقاً للدولة عليه، فإن الإسلام حدد حريته بما ليس فيه ضرر أو ضرار، لذلك أباح له الكسب الحلال قال تعالى ﴿**يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون**﴾[٣] وجاء فى حديث سيدنا رسول الله ﷺ الذى رواه أبو هريرة: أيها الناس: (إن الله طيب لايقبل إلا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين. فقال تعالى: ﴿**يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً**﴾، وقال تعالى ﴿**يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم**﴾ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربة حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب له﴾[٤]، والدين جاء ليحفظ الضرورات الخمس الدين والنفس والعقل والمال والنسل من أجل بناء مجتمع سليم آمن فيه ينال كل فرد حقه ويسلم وجهه إلي خالقه قال تعالى ﴿**ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة**

---

(١) الفجر الآيات من ٢٧- ٣٠ .

(٢) الملك آية ١٥ .

(٣) البقرة آية ١٧٢ .

(٤) أخرجه مسلم فى كتاب الزكاة باب قبول الصدقة من الكسب الطيب جـ١ ص٤٠٦ عن أبى هريرة والآيات من المؤمنون ٥١ والبقرة ١٧٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الوثقى﴾[١]. ومسئولية الفرد صيانة نفسه عن الهلاك أولاً قال تعالى: ﴿**ولاتلقوا بأيديكم إلي التهلكة**﴾[٢]. وحرم الإسلام قتل النفس إلا بحقها قال تعالى ﴿**ولاتقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق**﴾[٣] وقال الرسول الكريم ﷺ (لايحل دم رجل مسلم يشهد أن لاإله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث الثيب الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة)[٤] وحذر من الفواحش المنكرة التى تؤدى إلي نشر العداوة والبغضاء بين الناس كجريمة الزنا لما يترتب عليه من انتهاك الأعراض واختلاط الأنساب وضياع الحقوق وفساد فى الأخلاق وكذلك جرائم القذف برمى الغير بأمور منكرة أو شهادة زور تؤدى إلى ضياع الحقوق أو سلب لحقوق الغير عن طريق السرقة والاغتصاب أو الغش فى البيع والشراء وقد قال تعالى ﴿**ويل للمطففين. الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون. وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون**﴾[٥] وتأتى تعاليم القرآن آمرة المسلم بالالتزام بها لأنها أمانة ومسئولية يلتزم بها الإنسان قال تعالى ﴿**قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولاتقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولاتقربوا الفواحش ماظهر منها ومابطن ولاتقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعلقون. ولاتقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لانكلف نفساً إلا**

---

(١) لقمان آية ٢٢ .

(٢) البقرة اية ١٩٥ .

(٣) الأنعام آية ١٥١ .

(٤) أخرجه أبو داود فى كتاب الحدود باب الحكم فيمن ارتد جـ٤ ص١٢٤ عن عبد الله بن عباس .

(٥) المطففين ا لآيات من ١-٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون. وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾(١) وهى الوصايا العشر التى يترتب على التمسك بها تماسك المجتمع .

وحذر الإسلام المسلم من التعدى علي أموال الآخرين بآية وسيلة لما فى ذلك من أخطار تضر بالمجتمع قال تعالى **﴿ولاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلي الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون﴾**(٢)، وقد تحمل الفرد أمانة العمل فى الدولة مقابل راتب أو أجر مادى، ليعيش عليه إلا أنه تغافل عن كون هذا العمل أمانة فنراه قد يغش فى عمله أو يسرق أو يخون أو يزور، أو يترك عمله فى غير أوقات العمل الرسمية، أو يراقب رئيسه فى العمل فإن لم يجده لم يؤد عمله كاملاً، ولم يعلم أن الله مطلع عليه ومراقب له **﴿وماتدرى نفس ماذا تكسب غداً وماتدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير﴾**(٣)، وقد يتعامل بالرشا من أجل قضاء مصالح المواطنين وهذا ظلم واستغلال على مصلحة العمل وقد سبق حديث ابن اللتبية الذى قال فيه الرسول ﷺ (فهلا جلست فى بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقاً) (٤)، فإن من يتقاضى أموالاً على حساب العمل فهو رشوة والراشى والمرتشى فى النار، وقد قال تعالى **﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً**

---

(١) . الأنعام الآيات من ١٥١- ١٥٣ .

(٢) البقرة آية ١٨٨ .

(٣) لقمان الآية الأخيرة .

(٤) أخرجه مسلم فى باب تحريم هدايا العمال وسبق تخريجه فى ص٣٣ مع النص عليه كاملاً .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وسيصلون سعيراً﴾[١] ومصالح العمل لاتنتهى ويعلم الفرد أنه تحمل أمانة هذا العمل كل فى مجال عمله حسب ماأراده الله له ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون﴾[٢] لتؤدى الأعمال وتسير مصالح الحياة على نسقها الطبيعى ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم بعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز﴾[٣] وقد حرم الإسلام كل تصرف مالى يؤثر فى الثروة الاقتصادية كالاحتكار للسلع والغش في البيع والشراء والميسر والقمار والغل والغصب وكلها أنظمة مستورده من عالم الرأسمالية والشيوعية والاشتراكية، التى جعلت المسارح بديلاً عن المساجد، ولقد حرص الإسلام على أن يبرأ المجتمع الإسلامى من هذه الأمراض الاجتماعية الخطيرة والتي تشجع عليها وسائل الإعلام الحديثة لأنها تفسد الأخلاق والاقتصاد ويترتب على فساد الأخلاق فساد الحياة كلها لأنه بفساد الخلق يتعرض الإنسان لعقاب الله، وقد أخبر القرآن بأن هلاك الأمم نابع عن الفساد الخلقى كما حدث لقارون ولفرعون وللنمرود وللأمم السابقة من قوم نوح وثمود وعاد وقوم لوط وغيرهم قال تعالى ﴿فكلاً أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وماكان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾[٤].

---

(١) النساء آية ١٠.

(٢) الزخرف آية ٣٢.

(٣) الحج آية ٤٠.

(٤) العنكبوت آية ٤٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومايقع من أحداث بالصواعق والفيضانات والزلازل والبراكين وغيرها ليؤكد ذلك مالم يحاسب كل مسئول نفسه عما تحمله من أمانات، وليحذر كل رئيس مصلحة أو عمل من التعرض لعقاب الله، وكذلك من أنعم الله عليهم بنعمة الثراء والغنى والولد، عليهم أن يؤدوا حق الله فيها قبل التعرض لعقاب الله قال تعالى ﴿**وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً**﴾(١)، فالمسلم عليه مسئولية جهاد النفس أولاً، ثم الجهاد فى الحياة بالنفس والمال قال تعالى: ﴿**يأيها الذين آمنوا هل أدلكم علي تجارة تنجيكم من عذاب أليم. تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم**﴾(٢) وقال ﷺ فيما جاء عن أبي هريرة (مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لايفتر من صيام ولاصلاة حتى يرجع المجاهد فى سبيل الله وتوكل الله للمجاهد فى سبيله أن يدخله الجنة أو يرجعه سالماً مع أجراً أو غنيمة﴾(٣)، وقد أعلن رسول الله ﷺ مسئولية كل فرد فى مجال عمله فقال (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته والرجل فى أهله راع وهو مسئول عن رعيته والمرأة فى بيت زوجها راعية وهى مسئولة عن رعيتها والخادم فى مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته. ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) (٤) وأول مهمة ألزم الإسلام بها الفرد المسلم تكوين الأسرة ورعاية شئونها باعتبارها الخلية الأولي في بناء المجتمع، ولذلك شرع الإسلام الزواج وحفاظاً علي النوع الإنسانى وانسجاماً مع الفطرة الإنسانية قال تعالى ﴿**وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من**

---

(١) الإسراء آية ١٦ .

(٢) الصف آيتا ١٠، ١١ .

(٣) رواه البخارى فى كتاب الجهاد باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله جـ٦ ص٩ من فتح البارى .

(٤) أخرجه البخارى فى باب العبد راع فى مال سيده مجلد ١ جـ٢ ص٥٩ بحاشية السندى.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾[١]، وجاء في الحديث الشريف (تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة)[٢]، وحدد الهدف من الزواج في إنجاب الذرية الصالحة. فقال تعالى على لسان زكريا عليه السلام ﴿**رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء**﴾[٣] وحرص الإسلام على هذه الذرية فحرم الزنا ودواعيه، وحرم نكاح المتعة كما جاء في نيل الأوطار (نهى رسول الله ﷺ عن متعة النساء وعن لحوم الحمر الإنسية)[٤] كما نهى عن الشغار وهو أن يزوج الرجل ابنته لآخر على أن يزوجه هذا الآخر ابنته وليس بينهما صداق)[٥]، وحفاظاً على كيان الأسرة حرم الإسلام المحلل قال رسول الله ﷺ عليه وسلم (ألا أخبركم بالتيس المستعار قالوا بلى يارسول الله قال هو المحلل لعن الله المحلل والمحلل له﴾[٦] ومن مسئولية الأب مايلى:-

أن يختار الأم الصالحة لولده وأن يختار له الاسم الأمثل وأن يعترف بنسبة الولد ألبه وأن يحسن تربيته خلقياً وجسمانياً وروحياً قال الشاعر الحكيم: -

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ماكان عوده أبوه

وأن يختار له أصدقاءه من الصالحين لقوله تعالى ﴿**ولاتركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار**﴾[٧] وأن يصاحبه إذا كبر ويستشيره في

---

(١) النور آية ٣٢ .

(٢) فقه السنة جـ٢ ص١٩٣ .

(٣) آل عمران آية ٣٨ .

(٤) نيل الأوطار للشوكانى جـ٦ ص١٤٣ .

(٥) المرجع السابق ص١٥٠ .

(٦) رواه ابن ماجة فى كتاب النكاح باب المحلل والمحلل له جـ٢ ص٦٢٢ - ٦٢٣ عن عقبة بن عامر .

(٧) سورة هود آية ١١٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بعض الأمور وأن ينصحه كما حدث من لقمان الحكيم إذ قال لابنه وهو يعظه ﴿يابنى لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله فى عامين. أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير... يابنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير. يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر وأصبر على ماأصابك إن ذلك من عزم الأمور. ولاتصعر خدك للناس ولاتمش في الأرض مرحاً إن الله لايحب كل مختال فخور. واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾[1].

وعلى الأب أن يعود ابنه على الصلاة فهى أول رباط يجذب الولد نحو الكمال فهى تدريب على حب الجماعة وتعويد النظام وحب الخير وإنماء العواطف واحترام الوقت وتقوية لروابط الصداقة، إنها صلة الإنسان بربه فكراً ووجداناً، وصلة الإنسان بالناس حباً وداً ووآما، وعلى الأب أن يعدل بين الأولاد فى العطية قال تعالى ﴿ولايجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا إعدلوا هو أقرب للتقوى﴾[2] وعن النعمان بن بشير قال أعطانى أبى عطية فقالت عمرة بنت رواحة لاأرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ فأتى رسول الله ﷺ فقال إنى أعطيت ابنى من عمرة بنت رواحة عطية فأمرتنى أن أشهدك يارسول الله قال أعطيت سائر ولدك مثل هذا قال لا: قال (فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم) قال فرجع فرد عطيته)[3] ومن هنا ألزم الإسلام الأب بأن يعدل بين الأولاد فى كل شئ باستثناء الصغير والمسافر والمريض وطالب العلم. أما ماعدا ذلك فلابد

---

(١) لقمان الآيات من ١٣ - ١٩ .

(٢) المائدة آية ٨ .

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب الهبة باب الإشهاد فى الهبة جـ٢ ص٩٠ بحاشية السندى .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من العدل بينهم للذكر مثل حظ الأنثين، وعليه أن يهتم بتثقيفه وتعليمه، وأخذه بتعاليم الإسلام، وأن يرزقه رزقاً حلالاً كما جاء عن عمر رضى الله عنه من حق الولد على والده أن يعلمه الكتابة والرماية وألا يرزقه إلا حلالاً طيباً وأن يحسن أدبه ويحسن اسمه[١]، ومن حقه أيضاً أن ينفق عليه فى رضاعة وكسوته وطعامه وشرابه وأن لايقتل ولده خشية الفقر أو البنت خشية العار كعادة أهل الجاهلية جاء عن عمرو بن شرحبيل عن عبد الله قال: سألت رسول الله أى ذنب أعظم؟ قال (أن تجعل لله نداً وهو خلقك قال قلت ثم أى؟ قال أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قال قلت ثم أى؟ قال ثم أن تزانى حليلة جارك)[٢] وأن يعوده الاستئذان قبل الدخول فى البيت ليكون تعوداً له على الاستئذان الخارجى واحترام بيوت المسلمين أما مسئوليته تجاه زوجه فله أن يعاشرها بالمعروف من أخلاق نبيلة وإنفاق عليها من نفقة وكسوة وسكن، واحترام مشاعرها، وأن لايفشى سرها ولايذكر عيباً فيها، وأن يؤدبها إذا خاف نشوزها بما أمر الله وأن يلزمها بتعاليم الإسلام وآدابه فى المظهر والسلوك الخارجى وأن يعلمها أمور دينها إن كانت لاتعلم ذلك، وأن يعدل بينها وبين ضرتها إن كانت لها ضرة، وله حق القوامة عليها، وأن يرفق بها وأن يحافظ على مالها، وأن يقدرها حق قدرها. وكذلك فإن مسئولية المرأة فى بيتها متعددة فإن عليها احترام الرجل وطاعته فى غير معصية الله، وكذلك احترام مشاعره وتقديره وقضاء متطلباته، والمعاشرة بالمعروف، وأن يكون تزينها له وحده، وأن تكون وفية له تحترم حقوقه ولاتتمرد عليه، وأن تكون مخلصة له فلا تفشى له سراً أو تكلفة مالايطيق، وأن تحافظ على مال زوجها وولده وأن تحافظ على نفسها وعرضها فلا تخون، وأن تخفض صوتها وأن تحسن إليه وإلى

---

(١) منهاج المسلم لأبى بكر الجزائرى ص٩٤ .

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان باب كون الشرك أعظم الذنوب جـ١ ص٥٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أقاربه، فتكف لسانها عن الإساءة والبذاءة، وأن لاتخرج من بيتها إلا بإذنه، وأن تظهر بمظهر إسلامى خارج بيتها قال تعالى: ﴿**وقرن فى بيوتكن ولاتبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله**﴾(١)، وقوله ﷺ (خير النساء التى إذ نظرت إليها سرتك وإذا أمرتها أطاعتك وإذا أقسمت عليها أبرتك وإذا غبت عنها حفظتك فى نفسك ومالك) (٢)، وهذه حقوق يسأل عنها الزوج قال تعالى ﴿**يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً**﴾(٣) وعليه أن يمنعها من الاختلاط ويحول بينها وبين مايفسد خلقها ودينها لما لها من أثر في تربية النشئ، وقد قال الشاعر: -

والأم مدرسة إن أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

والقرآن يقول ﴿**والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبث لايخرج إلا نكدا**﴾(٤) ومن مسئولية الرجل مع الأقارب أن يلتزم بالآداب التى دعا إليها الإسلام من المودة والإحسان، والبر واللين معهم ومواساتهم، والاحترام المتبادل معهم فيوقر كبيرهم ويرحم صغيرهم ويعود مريضهم ويعزى مصابهم، ويشاركهم في الفرح، وفى مواقف الشدة قال تعالى: ﴿**وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولاتبذر تبذيراً**﴾(٥)، وحق ذوى القرابة صلة الرحم التى أمر الله بها مراراً وهل الأمر للوجوب أو للندب وهل

---

(١) الأحزاب آية ٣٣ .

(٢) رواه الطبرانى في الكبير بإسناد صحيح باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة جـ٣ ص٣٧ .

(٣) التحريم آية ٦ .

(٤) الأعراف آية ٥٨ .

(٥) الإسراء آية ٢٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تجب للوالدين فقط أولهما ولغيرهما من الأقارب كالأخوات وبنى الأعمام فعند أبى حنيفة الأمر للوجوب فيجب على الموسر مواساة أقاربه، وعند الشافعى الأمر للندب والذى ينبغى الاعتماد عليه وجوب صلتهم بما تبلغ إليه القدرة، أما حق المساكين وابن السبيل فهو من الصدقة الواجبة أو المندوبة والأقربون أولى بالمعروف[١]، وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته)[٢] أما مسئوليته بما يتعلق بجيرانه فإنه يعترف بما للجار عليه من حقوق فيجب على كل من الجارين بذلها لجاره لقوله تعالي: ﴿**واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل ومامَلكت أيمانكم..**﴾[٣] ولقوله ﷺ (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)[٤].

ومن الواجبات ا لملزمة للجار عدم أذيته بالقول أو الفعل والإحسان إليه بالنصرة والاستغاثة، وبدأه الإسلام، وإرشاده إلى مافيه الخير وإكرامه بإسداء المعروف إليه، واحترامه وتقديره والتنفس عن نفسه عند الملمات، ومواساته ومشاركته الفرح والسرور، أما مسئولية الفرد تجاه المسلمين فإن عليه حقوقاً نحو الآخرين يجب عليه الالتزام بها أن يبدأه بالسلام إذا لقيه، وأن يشمته إذا

---

(١) التفسير الواضح مجلد ٢ جـ١٥ ص٢١.

(٢) الأحاديث القدسية جـ١ ص١١٦ - ١١٧ ط بيروت نقلاً عن صحيح الترمذى .

(٣) النساء آية ٣٦ .

(٤) أخرجه مسلم فى باب الحث على إكرام الجار جـ١ ص٣٨ - ٣٩ عن أبى هريرة رضى الله عنه .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عطس، وأن يعوده إذا مرض، وأن يبر قسمه ويشهد جنازته، وأن يحب له مايحب لنفسه ويكره له مايكرهه لنفسه وأن ينصره ويعينه وأن لايسه بسوء يكرهه وأن لايهجره أكثر من ثلاثة أيام عند الخطأ، وأن لايغتابه أو يحتقره أو يسخر منه ولايسبه ولايحسده، ولايغشه أو يخدعه، وأن يعفو عن ذلاته وأن يساعده عند الحاجة، وأن يستر عورته ويوقره إن كان كبيراً ويرحمه إن كان صغيراً، وأن يخالقه بخلق حسن وايات القرآن والسنة أكثر من أن تحصى فى الحث على أداء الحقوق للمسلمين كالآيات الناهية عن السخرية والاحتقار والغيبة والهمز واللمز وظن السوء[١] أما السنة فقد ورد فيها قوله ﷺ (اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن)[٢] وعن أبى هريرة قال: قال ﷺ (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة والله فى عون العبد ماكان العبد فى عون أخيه ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة ومااجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه)[٣] وقوله ﷺ (ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان الإنصاف من نفسك وبذل السلام للعالم والإنفاق من الإقتار)[٤]. وجاء عن تميم الدارى قال ﷺ (إن الدين النصيحة قالوا لمن يارسول الله قال لله وكتابه ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم)[٥] أما

---

(١) انظر تلك الآيات فى سورة الحجرات وقد سبق ذكرها .

(٢) أخرجه الدرامى فى كتاب الرقاق باب حسن الخلق جـ٢ ص٣٢٣ .

(٣) أخرجه مسلم فى كتاب الذكر والدعاء باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن جـ٢ ص٤٧٣.

(٤) صحيح البخارى كتاب الإيمان باب إفشاء السلام جـ١ ص١٤ عن عمار .

(٥) أخرجه أبو داود فى كتاب الأدب باب فى النصيحة جـ٤ ص٢٨٧-٢٨٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مسئولية الفرد مع والديه فهو طاعتهما فى غير معصية الله، وتوقيرهما وتعظيم شأنهما وخفض الجناح لهما وتكريمهما بالقول والفعل فلا يسبهما ولاينهرهما أو يرفع صوته عليهما وأن يبرهما بكل ماتصل إليه يداه وتتسع له طاقته من أنواع البر والإحسان وأن يصل الرحم التى لاتصل إلا بهما، والدعاء والاستغفار لهما بعد موتهما قال تعالى ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولاتنهرهما وقل لهما قولاً كريماً. واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا﴾(١) وقال ﷺ للرجل الذى سأله (من أحق الناس بحسن صحابتى قال أمك؟ قال ثم من قال أمك؟ قال ثم من قال أمك؟ قال ثم من قال أبوك) (٢).

وبهذا حدد الإسلام مسئولية أفراد الأسرة تجاه بعضهم بعضاً من الرحمة والود والصدق والتعاون والحب، والعمل من أجل سعادة الأسرة بالكفاح والجد من أجل العيش، والتعاون علي البر والتقوى لاعلى الإثم والعدوان، وهذا فى داخل الأسرة، ومن يتصل بها من ذوى القرابة والجيران، ثم حسن المعاملة مع الناس جميعاً وتلك المسئولية تتحقق فى حسن تربية الأولاد والمحافظة عليهم وحماية الضعفاء ورعايتهم في الأسرة والمحافظة على اقتصاديات العائلة دون تبذير أو تقتير، والاحترام المتبادل بين الجميع والابتعاد عن مواطن الشبهات، والمحرمات أما مايحيط بالأسرة فبالتعاون الجاد المثمر، والأخلاقيات الحسنة، والصدق فى القول والنصرة، وحب الخير للجميع من الأهل والجيران من المسلمين، والمجتمع الإسلامى قد يبنى بناء قوياً إذا تمسكت الأسرة بمسئولياتها وأدائها كاملة دون تقصير أما إذا كان الرجل عاملاً في وظيفة فإن الإسلام

---

(١) الإسراء آيتا ٢٣، ٢٤.

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب البر والصلة والآداب باب بر الوالدين جـ٢ ص٤١٧ عن أبى هريرة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ألزمه باحترام عمله وأدائه كاملاً دون تقصير ودون تطاول علي حساب العمل فوجب عليه رعاية حق الله فى العمل دون مراآة فلا يغش ولايخون ولايتعدى على حقوق الآخرين فإن كان رئيس مصلحة وجب عليه أن يرعى شئون العاملين بصدق وجدية، وأن يراقب تصرفاتهم، وأن يحاسبهم على التقصير أو الخطأ وأن يشاورهم فى الأمور، وأن يساعد المحتاج عند الحاجة، وأن يصلح الأخطاء بحسن تصرف، ولقد أوضح القرآن تلك المنهج القويم فى الإدارة بقوله تعالى لرسوله: **﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾**(١)، وقال تعالى **﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾**(٢)، وقال تعالى: **﴿أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾**(٣).

ومن هنا أوجب الإسلام علي العامل أن يخلص لله عمله فإن كان طبيباً يعالج الناس فعليه أن يخلص لله فى مهنته وليجعل الناحية الإنسانية أولاً قبل المادية وإن كان مدرساً فعليه أن يؤدى حق العلم لطالبيه دون جشع وطلب مادى وإن كان داعياً فعليه أن يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة، وإن كان صانعاً فعليه أن يتقن صنعته وإن كان تاجراً فلخلص لله في تجارته وإن كان صاحب مهنة فى البناء والتعمير فليخلص لله فيها وإن كان يعمل فى الشئون الإدارية فليتق الله وليعلم أن عمله أمانة وهو مكلف بأدائه فى وظيفته فإن أخلص لله بارك الله له فى أجره وإن لم يخلص في عمله أو أخذ رشوة مقابل الأداء فتلك مسئولية يحاسب عليها أمام القانون وكذلك لو تطاول على أموال الدولة فإن

---

(١) آل عمران آية ١٥٩ .

(٢) الأعراف آية ١٩٩ .

(٣) النحل آية ١٢٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الجهاز المركزى للمحاسبات يقوم بدوره للقضاء على هذه الظواهر السلبية. بمحاسبته.

❑ مسئولية الحاكم :

فإن كان الفرد حاكماً فإن الإسلام قد أمر بطاعته فى غير معصية الله لقوله تعالى: **﴿يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾**(١) وأمر الحاكم بأن يحكم بما أنزل الله لقوله تعالى: **﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم﴾**(٢) وقال تعالى: **﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم عما جاءك من الحق﴾**(٣).

وفى الحديث الشريف عن معقل بن يسار المزنى قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (مامن عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة) (٤) وفي الحديث الشريف المروى عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال (على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولاطاعة) (٥)..

ولقد ألزم الإسلام الرعية بطاعة الحاكم إذا نفذ شرع الله في الأحكام والأعمال وقضاء حوائج الناس وتحقق العدل بينهم لينتشر الرخاء فى المجتمع الإسلامى ويقضى على المنكرات والسلبيات ويأمن الناس على دمائهم وأموالهم

---

(١) النساء آية ٥٩ .

(٢) المائدة آية ٤٩ .

(٣) المائدة آية ٤٨ .

(٤) أخرجه مسلم فى باب استحقاق الوالى الغاش لرعيته النار جـ١ ص٧١ .

(٥) أخرجه مسلم فى باب وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية الله جـ٢ ص١٣١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأنفسهم ويقاوم الفوضى والظلم، ويقضى على أساليب الإرهاب المدمرة، وينشر الإسلام والأمان والرحمة بين الناس، وقد عد رسول الله ﷺ فى حديثه السبعة الذين يظلهم الله فى ظل عرشه يوم القيامة وذكر منهم الإمام العادل فقال (سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل إلا ظله الإمام العادل وشاب نشأ فى طاعة الله ورجل قبله معلق بالمساجد ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال إنى أخاف الله ورجل أخفي الصدقة حتى لاتعلم شماله ماتنفق يمينه ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه) (١) وعن أبى بكر رضى الله عنهما قال (يأيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية ﴿**يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل إذا اهتديتم**﴾ وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه) (٢).

وقد حدد الإسلام مسئولية الحاكم فيما يلي :-

أولاً: الحكم بما أنزل الله لقوله تعالي ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون**﴾(٣) ولقوله تعالى ﴿**ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى**﴾(٤).

ثانياً: رعاية حقوق الله تعالى ﴿**ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه**﴾(٥) وكان النبى ﷺ لايغضب إلا إذا انتهكت حرمات الله. وجاء عن عائشة رضى الله عنها (ماضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب الزكاة باب فضل إخفاء الصدقة جـ١ ص٤١٢ عن أبى هريرة.

(٢) أخرجه الترمذى فى كتاب التفسير جـ٥ ص٤١ والآية من المائدة ١٠٥ .

(٣) المائدة آية ٤٥ .

(٤) سورة طه آية ١٣٤ .

(٥) آية ٣٠ من سورة الحج .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بيده ولاامرأة ولاخادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله ومانيل منه شئ قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شئ من محارم الله فينتقم لله) (١).

ثالثاً: الرفق بالرعية فليس الحكم فى الإسلام تجبراً ولااستعلاء ولاتكبراً ولكن منبثق من طبيعة الإسلام إنه رحمة للجميع وحفاظ على الحقوق قال تعالى: ﴿**وماأرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾(٢) وروى أبو داود عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت (ماخير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما مالم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه ومانتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله عز وجل فينتقم لله بها) (٣).

رابعاً: المحافظة على أمن الرعية وهذا من واجبات الحاكم تحقيق الأمن والسلام لشعبه قال تعالى ﴿**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**﴾(٤) وقد روى مسلم فى صحيحه عن حكيم بن حزام قال مر رسول الله ﷺ بالشام على أناس يعذبون في الخراج فقال (إن الله يعذب الذين يعذبون الناس فى الدنيا) (٥) وقال ﷺ (لست أخاف على أمتى غوغاء تقتلهم ولاعدواً يجتاحهم ولكن أخاف على أمتى أئمة مضلين إن أطاعوهم فتنوهم وإن عصوهم قتلوهم) (٦).

---

(١) أخرجه مسلم فى باب مباعدته عليه السلام للآثام وانتقامه عند انتهاك حرمات الله جـ٢ ص٣٢٨ .

(٢) الأنبياء آية ١٠٧ .

(٣) أخرجه أبو داود فى كتاب الأدب التجاوز فى الأمر جـ٤ ص٢٥٠ .

(٤) الأنعام آية ٨٢ .

(٥) رواه مسلم فى باب الوعيد الشديد لمن عذب الناس بغير حق جـ٢ ص٤٤١ .

(٦) الجامع الصغير للمناوى جـ٢ ص١٩١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خامساً: الحفاظ على ممارسة الشورى وهى خلق إسلامى نبيل فى مجال العمل السياسى والاجتماعى والعسكرى وهى أساس العلاقة بين الحاكم والرعية من قاعدة النصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم وقد شاور رسول الله أصحابه فى كل ماجد من أمورهم، فلا خاب من استشار، ولااستئثار بالرأى وإنما الحكم شورى بينهم وقد سبق بيان هذا المنهج فى قوله تعالى ﴿**وشاورهم فى الأمر**﴾ لتظل الشورى منهج المسلمين مع قائدهم وهذا المنهج يتمثل فى داخل المصالح والمؤسسات الحكومية عن طريق تجمع أعضاء مجالس الإدارات وأبداء آرائهم حول مايرونه صالحاً من القرارات والقوانين التى يترتب عليها تنويم الأعمال وزيادة في الإنتاج، ورعاية لمصالح الرعية، وتتمثل مصالح الدولة ورعايتها تحت إشراف الحاكم في مجلس الشعب والشورى من أعضاء من جميع فئات الرعية نواباً عنهم لإبداء آرائهم فيما يرونه صالحاً لجميع الناس وقضاء حاجاتهم .

سادساً: عدم الغلول والتجارة فى أموال الرعية لحسابه الخاص فإن المجتمع الإسلامى قائم علي العدل، وهو مجتمع الأمن والرخاء والتكافل، وليس فيه مجال للخيانة أو لمن يتاجر بأقوات الناس قال تعالى: ﴿**وماكان لنبى أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة**﴾[1] وحدث على عهد رسول الله ﷺ أن رجلاً طلب من النبى عليه السلام أن يقيله من عمله لما سمع مسئولية الحاكم فى الحفاظ علي أموال الرعية ففى مسلم عن عدى بن عميرة الكندى قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من استعملناه منكم على عمل فكتمنا مخيطاً فما فوقه كان غلولاً يأتى به يوم القيامة قال فقام إليه رجل من الأنصار فقال يارسول الله أقبل عنى

---

(١) آل عمران آية ١٦١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عملك قال ومالك قال سمعتك تقول كذا وكذا قال وأنا أقول الآن من استعملناه منكم على عمل فليجئ بقليله وكثيره فما أوتى منه أخذ ومانهى عنه انتهى)[١] وهذه مسئولية كل فرد من أفراد الأمة فى مجال عمله وليست خاصة بالحاكم فهو فرد من أفراد الشعب ولاه الله الحكم فهو خليفة الله في أرضه فى تنفيذ الأحكام والحدود .

سابعاً: نشر لواء التوحيد وهو المسئولية الرئيسية للحاكم وغيره[٢]. لأن الرسالة الإسلامية هى الخاتمة للرسالات والداعية إلى تصحيح العقيدة والإيمان برب الكون الواحد الذى بيده ملكوت كل شئ وعدم الإشراك به لقوله تعالى **﴿إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء﴾**[٣] وقوله تعالى: **﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ومامن إله إلا إله واحد﴾**[٤] خلق فسوى وقدر فهدى وأخرج المرعى، ودعوة الناس جميعاً إلى الإيمان بإله واحد **﴿ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾**[٥].

❐ مسئولية الجماعة :

إذا كان الفرد مسئولاً عن تصرفاته أمام القانون وأمام الله عن رعايته لأسرته، ولمن لهم حق عليه من ذوى القربى والمحتاجين وكذلك الجيران وإخوانه المسلمين، فإن مسئولية الأفراد المسماة بالجماعة عليها المسئولية الكبرى تجاه

---

(١) رواه مسلم فى باب تحريم هدايا العمل جـ٢ ص١٢٨-١٢٩ عن عدى بن عميرة الكندى.

(٢) الدعوة الإسلامية فى عهدها المدنى د/ رؤوف شلبى جـ٣ ص٥٦ .

(٣) النساء آية ١١٦ وشبيهها آية ٤٨ فى نفس السورة .

(٤) المائدة اية ٤٣ .

(٥) فى آية ٥٤ من سورة الأعراف .

(٦) الصافات آية ٢٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المجتمع، من أجل تحقق الأمن والسلام وهنا تأتى أوامر الإسلام متجهة إلى الجميع بتحمل المسئولية الكاملة. قال تعالى: ﴿وقفوهم إنهم مسئولون﴾، وقال تعالى ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون. وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولاتنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا﴾[١] وقال تعالى: ﴿ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾[٢] وقال تعالى: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيرا. يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾[٣] وهى آيات داعية إلي التحلى بمكارم الأخلاق، فالضبط الاجتماعى للأخلاقيات والسلوك مسئولية الجماعة المسلمة لقوله تعالى ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله﴾[٤]، وأمر رسول الله ﷺ. بممارسة هذه المسئولية فيقول فى حديثه(من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)[٥] والذين

---

(١) النحل آيتا ٩٠، ٩١ .

(٢) الحديد آية ٢٥ .

(٣) النساء آيتا ٥٨، ٥٩ .

(٤) التوبة آية ٧١ .

(٥) أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان باب كون النهى عن المنكر من الإيمان جـ١ ص٣٩ عن أبى سعيد الخدرى .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يجاهرون بالمعاصى يعاقبون ولقد وضع التشريع لهم الحدود الرادعة والزاجرة قال تعالى: ﴿**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً، أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم**﴾(١)، وعلى القائمين بأمر الدعوة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر أن تكون دعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالحسنى لتجدى دعوتهم وأن يكونوا مثلاً عليا لغيرهم ليقتدى بهم .

ومن واجبات الجماعة الصلح بين المتخاصمين من الأفراد أو الأسر والقبائل على مستوى الدولة وكذلك بين الدول المتناحرة لقوله تعالى: ﴿**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيئ إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون**﴾(٢).

وواجب أولى الأمر والقائمين على وسائل الإعلام إظهار الحقائق للشعب وتقريب وجهات النظر عند الاختلاف ومنع التنازع بين الناس لقوله تعالى: ﴿**ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين**﴾(٣) إلي غير ذلك مما يدعو إلى الترابط والاتحاد ..

ولقد وصف الله حاكم المسلمين الأول ﷺ بقوله (وإنك لعلى خلق عظيم) (٤) ومن واجبات الجماعة المسلمة تحقق العدل القائم علي الإحسان للآيات السابقة وقوله ﷺ (إن المقسطين عند الله علي منابر من نور عن يمين

---

(١) المائدة آية ٣٣ .

(٢) الحجرات آيتا ٩، ١٠ .

(٣) الأنفاق آية ٤٦ .

(٤) القلم آية ٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وماأوتوا)[١]، ومن واجبات الجماعة التزام السلوك والضبط فى تحركاتهم وفى طرقهم لقوله تعالى ﴿**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون**﴾[٢]، وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (إياكم والجلوس فى الطرقات قالوا يارسول الله مالنا عن مجالسنا بد نتحدث فيها قال رسول الله ﷺ فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه، قالوا وماحقه يارسول الله، قال غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر)[٣]، ومن واجبات الجماعة الاتحاد والتآخى والترابط لقوله تعالى ﴿**إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون**﴾[٤] وقوله تعالى ﴿**يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾[٥]، ومن واجبات الجماعة مقاومة أعداء الدين وجهادهم بالسلاح وبالكلمة لردعهم وزجرهم والوقوف صفاً واحداً تجاههم لقوله تعالى ﴿**إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص**﴾[٦].

ومن واجبات الجماعة التعاون الجاد المثمر فى البناء والتعمير ومقاومة الأفكار السامة والشائعات الكاذبة التى تؤدى إلى تدهور المجتمع لقوله تعالى

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الإدارة باب فضيلة الإمام العادل جـ٢ ص١٢٤ عن عبد الله بن عمرو .

(٢) النور آية ٣٠ ومابعدها .

(٣) رواه مسلم فى باب النهى عن الجلوس فى الطرقات جـ١ ص٢٥٢ .

(٤) الحجرات آية ١٠

(٥) الحجرات آية ١٣ .

(٦) سورة الصف آية ٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الإثم والعدوان﴾(١) وقوله تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين﴾(٢).

ومن واجبات الجماعة المسلمة أن يحب بعضهم بعضاً فى الله وأن يتراحموا فيما بينهم تحقيقاً للتكافل وتكافؤ الفرص فى العمل، ومن واجباتهم حب أوطانهم والدفاع عنها بكل نفيس حتى يتحقق الأمن والسلام، فإن كان هناك من تعاون بين كل شعب وآخر فى مجالات العمل المختلفة فإنه يترتب عليه تقدم المجتمعات الإسلامية فى جميع ميادين الحياة، وتتحقق الخلافة على ظهر الأرض، وتلك مسئولية أولى الأمر القائمين على مصالح البلاد، وهذا مانادى به شعب مصر البار، وقائدها العظيم الذى نادى بتحقق الرخاء والسلام لكل الشعوب العربية والإسلامية مصداقاً لقوله تعالى ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله﴾(٣) ولن يتحقق للشعوب رقيها وتقدمها إلا بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ والعمل الجاد المخلص المثمر مع الصدق فى القول وبذل الجهد فى العمل قال تعالى ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾(٤).

---

(١) المائدة آية ٢ .

(٢) الحجرات آية ٦ .

(٣) التوبة آية ٧١ .

(٤) التوبة آية ١٠٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

﴿ الخاتمة ﴾

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على صاحب خاتم الرسالات الذى كان نبراساً وسراجاً منيراً فأضاء الكون بنوره وأصلح المجتمع بهديه .

وبعد ،،،

بيان هذه المسئوليات بالنسبة لجميع أفراد المجتمع الإسلامى فإنه لو التزم بها كل فرد لأصلح الله شأن الأمة والله يقول ﴿**إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم**﴾(١) فالمجتمع الذى تسوده الفضائل وتجتنب فيه الرذائل لهو مجتمع جدير برضا الله عز وجل وجدير بأن يصل إلى قمة الحضارة والمدنية قال تعالى ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا**﴾(٢)..

ومن هنا يجب مقاومة الرذائل بجميع صورها ومقاومة الإرهاب ومن يقومون به فى المجتمع. ويجب أن يعتنى المسلم بتهذيب نفسه وتطبيعها علي الخلق الإسلامى الذى يرفعها عما يدنسها فيعمل على إقامة مجتمع فاضل ينعم فيه الإنسان بحريته وأمنه واستقراره ويجب التعاون بين الفرد والأسرة وبين الأفراد بعضهم بعضاً من أجل البناء والتعمير ومقاومة وردع كل من تسول له نفسه من العبث بأموال الدولة أو ممتلكاتها، وتطبيق الحدود على المخالفين دون محابات أو مجاملة وعلى القائمين على الأمر من الجماعة تكون المسئولية..

هذا والله الموفق.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،،،

أ. د/ **محمد شبل مصطفى عطية**
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد
بكلية دراسات دسوق جامعة الأزهر

---

(١) فى آية ١١ من سورة الرعد .

(٢) النور اية ٥٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

﴿ أهم مراجع البحث ﴾

١ - القرآن الكريم .

٢ - صحيح البخارى بحاشية السندى. ط فيصل عيسى الحلبى دار إحياء التراث .

٣ - فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر. ط دار الريان للتراث .

٤ - الدين والعقل د/ سليمان دنيا ط ١٩٥٩ .

٥ - رجل من أمة التوحيد أ/ عبد اللطيف الجوهرى ط دار الصحوة للنشر ١٩٩١.

٦ - الإيمان د/ محمد البهى ط الأزهر سنة ١٩٦٩ .

٧ - سنن الدارمى في الحديث .

٨ - المعجم الوجيز ط مجمع اللغة العربية سنة ١٩٩٨ .

٩ - مقدمة في علم الأخلاق فى القرآن د/ محمد عبد الله دراز .

١٠- الجامع للإمام المناوى .

١١- دستور الأخلاق فى القرآن د/ محمد عبد الله دراز .

١٢- روح الدين الإسلامى أ/ عفيفي طبارة ط دار العلم .

١٣- التشريع الجنائى فى الإسلام ط دار التراث .

١٤- الكفاح ضد الجريمة ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

١٥- دولة الفكر للأستاذ/ فتحى سليمان .

١٦- تجديد الفكر الدينى فى الإسلام د/ محمد إقبال .

١٧- الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبى. ط دار الريان للتراث .

١٨- الجامع الصغير للإمام السيوطى .

١٩- سنن ابن ماجة فى الحديث. ط دار الريان للتراث .

٢٠- صحيح الإمام مسلم. ط دار الكتب العلمية بيروت .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢١- حولية كلية أصول الدين القاهرة ط ١٩٨٨م .
٢٢- سنن أبى داود في الحديث . ط دار الريان للتراث .
٢٣- رياض الصالحين للإمام النووى ط عبد الرحمن محمد.
٢٤- الدعوة الإسلامية فى عهدها المدنى د/ رؤوف شلبى. ط مطبعة الفجر الجديد .
٢٥- سنن الإمام الترمذى فى الحديث. ط دار الفكر .
٢٦- تفسير القرآن العظيم لابن كثير . ط عيسى الحلبى .
٢٧- سنن الإمام البيهقى .
٢٨- أسباب النزول للواحدى. ط دار الكتب العلمية .
٢٩- كشف الخفاء للإمام العجلونى .
٣٠- المستدرك للإمام الحاكم .
٣١- منهاج المسلم لأبى بكر الجزائرى. ط مكتبة حميدو .
٣٢- إحياء علوم الدين للغزالى. ط دار الريان للتراث .
٣٣- أنوار التنزيل للإمام البيضاوى. ط مكتبة مصطفى الحلبى .
٣٤- فقه السنة للشيخ سيد سابق. ط الفتح للإعلام العربى بالقاهرة .
٣٥- نيل الأوطار للإمام الشوكانى .
٣٦- التفسير الواضح د/ محمد محمود حجازى. ط مكتبة التفسير بالزقازيق
٣٧- الأحاديث القدسية ط بيروت .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner